

# السَّالِمُ الْمَخَاصِيَةُ

مجلة رضىية اوية اريكة علمية



العدد الرابع عشر ١٩٤٧

آب ( اغسطس )

العدد الثامن

---

المطبعة المخاصية

دير المخلص - قرب صيدا ( لبنان )

# فهرس

سنة ١٩٤٧

آب

العدد الثامن

صفحة

٤٣٣	الاب لوسيان الملوفا المخلصي	ازمة مبادى
٤٣٨	ح . س .	العمر الضائع ( قصيدة )
٤٣٩	جورج بربر	المرأة في نظر الخالق
٤٤٩	الاستاذ حبيب السيوفي	روسيا ما بين سنتي ١٩١١ - ١٩١٨
٤٥٦	الاب يوسف داغر المخلصي	لوتيروس وصورته الادبية
٤٦٩	الاستاذ جبران النحاس	صيغة فُعال
٤٧٣	الاستاذ قدرى قلعجي	ابو العلا في بغداد
٤٨٢	ف . م .	الشبيبة العاملة المسيحية
٤٨٤		الرئيس العام الجديد
		مناولة اولى وحفلة تمثيلية في الفرزل
		مطبوعات جديدة





سيادة رئيسنا العام الجديد  
الارشمندريت الكهنه نضوس برودين

# الرسالة

العدد الثامن

١٩٤٧

السنة الرابعة عشرة

اغسطس

أب

\*\*\*\*\*

## ازمة مبادئ

كالمركب تتلاعب به أرياح مجر هو جاء ذلك هو عصرنا الحاضر ، تتجاذبه  
سفسطات السياسيين ، وتقادير الفقهاء والاقتصاديين ، ومذاهب الاجتماعيين  
والفلاسفة ، وقد أخذه الدور واشرف على الفرق . . . .

هلاً رأيتم عصرأ كثرت فيه الشيع ، وتضاربت فيه الآراء ، وتناقضت فيه  
المبادئ. والافكار مثل عصرنا الحاضر ؛ الى حد ان تمكنت الفوضى من الارواح ،  
فراحت هذه تستسلم الى العنف والجور ، والى المذلة والهوان ، والى الشك والريب ،  
فأصبحت ضحية الخزعبلات الفلسفية الواهية ، وضحية الافكار الزائفة المغلوطة .  
فارتاب الانسان من كيانه ، وشك في مقدرة عقله نفسه ، فعم الجهل والتجاهل  
وتتابعت المنازعات ، وتواتت الازمات ، وتخاصمت الاهواء وتطاحنت المطامع .  
واصل الثمر كله هو ان عل الانسان في صميمه ، في مبدإ عمله ، في قاعدة سلوكه .  
لان ازمة المبادئ هي فوق كل الازمات ، واصل كل الازمات ، واقوى كل  
الازمات . وراح اناس يوهون علينا بكلمات طنانة «العلم» ، «الرقى» ، «السعادة» ،  
كيلا نسمع انين الانسانية المتأللة الموشكة على الفرق ، على الموت . . . .

ازمة مبادئ ، جارقة ا واولى نتائجها هي ازمة ادبية :

سرحوا الانظار ، على هذا التيار الجارف المتزايد يوماً عن يوم ، لا يوفر فتى ولا يجترم شيخاً ؛ لا يهجمه الجبل والسهل ؛ ولا يسأل عن اسم البلد : فسيان عنده بيروت وباريس ، ورومة والقاهرة . . . الفتيان والفتيات ، الصغار والكبار يتهافتون على دور السينما التجارية ؛ وان بعدوا فالخلاعة تلاحقهم في الشوارع والحوانيت الاعلانات ؛ وان لزموا منازلهم فهي تنسرب اليهم في البريد والدعايات والمجلات . . . فوقع الشباب في حيرة ثم في استسلام . . .

انظروا الارقام في محاكم الجنائيات وبيوت الاصلاحات فهي برهان قاطع ودليل لا مرد على حجته . فمصرنا الحاضر قد قضى على الفكرة الاساسية الادب واعمل الخير . باسم الحرية او التحرر قد قضى على فكرة الواجب ، وفكرة القانون وفكرة القصاص المخالفين . ونقض فكرة الله اساس الواجب وحارس الحرية ليخلي المحل لفكرة واهية ، خالية هي فكرة المجتمع : ومن اين للمجتمع حق الامر والنهي ، ومن يضمن له الدوام ، ومن يبرر موقفه من بعض فئات الناس ؟ . . . وزاد العصر فقضى على فكرة الانسان نفسه فجعله ذرة متطورة ، حيواناً متقلباً ، لا روح له ولا طبيعة ثابتة . . .

ازمة ادبية ، وتتبعها على الاثر ازمة اجتماعية .

تقوم مهمة السلطة الاجتماعية بتوفيق المصالح وتنظيم الرغائب والذرات نحو خيرات هذه الدنيا . ومن ينظر الى العالم الحالي يجده منقسماً الى فئتين : من جهة ارباب العمل ، والعاملون من الجهة الثانية . وكل فئة تستند على اسلحة قوية . الاولى تستند على الفضة والثانية على العدد ، وكل واقف لآخيه بالمرصاد .

فن اي مبادئ . تستمد السلطة الاجتماعية وحيها لتصلح بين هاتين الفئتين ، وتضع الشرائع الملائمة للصالح العام وكل فئة لها مبادئها ولها مثلها وغالباً على طرفي نقيض ؟ واي شريعة تفي بالمرام اذا لم ترتكز اساسياً على فكرة المساواة بين الاشخاص ، وعلى قاعدة الضمير . وما ادراك ما الضمير ؟ أوهم عند شخص يظن نفسه حراً فيتوق نحو قيم عالية كالعدالة والواجب والادب وهي لا وجود لها

ام هو الاقتناع من وجود شريعة ادبية مطلقة تتطلب العمل عن مسؤولية والخضوع عن حرية واختيار !

وتصوروا ما يمكن المشتري ان يرتكب من مآثم وفظائع اذا كان لا يعترف بوجود شي. خارجاً عن الامور الحماسة ! واي طاعة ينتظر مثل هؤلاء. المشتريين اذا كانت شريعتهم لا تتركز الا على ارادة اكثرية وقتية ، تسيطر حالياً على القوة الى ان تأتي قوة اخرى تسيطر عليها بالمدهانة او بالعنف والجور . . .

ازمة اولية هي أس كل هذه الازمات

هي ازمة المبادئ.

هي ازمة العقيدة . . .

على اننا لنخلص من هذه الازمة الا بالرجوع الى الانجيل ففيه النور وفيه الحياة ! ايها المسيحي ، اجعل الانجيل دستور حياتك العملية ؛ وانت يا من تجهل الانجيل ، دونك هذا الكتاب ، فاقرأه وامعن النظر في اقواله ، اقله على سبيل الفضول ، وقل لي ، اذا كنت منصفاً ، هل وجدت منبعاً للنور اصفى منه ، ودستوراً للحياة اقوى وامتن ؟ !

يجري الانجيل بعض الشيء من حياة وتعاليم المسيح وفي هذا الشيء معجزة عشرين قرناً .

منذ اجيال واجيال تسمى الانسانية بكتابة مصحف الحياة ، حل مشكلة الكون ، لايضاح اصل الانسان وطبيعته ومصيره ، ولبيان ما يجب معرفته وعمله للوصول الى سعادة دائمة ، هي جل ما يتوق اليه القلب البشري في مختلف نزعاته واطواره واحواله .

فاتى المسيح وفتح عيون الانسانية على النور ، وخط لها سبيل الحياة . فكان معجزة في كلامه ، وفي نبرة صوته ، وفي محبته الفائقة ، وفي صراحة فكره وبساطة اقواله . وكان معجزة بنوع خاص في صمته ، وفي افكاره الرئيسية وفي مثله .

انظروا الى الفلاسفة ومؤسسي الديانات . فمنهم من يكثر الكلام ليعين عن

سعة معارفه فاذا هو يبني عالماً خيالياً ، ومنهم من يقر بجهله فيحجم حتى عن الاجربة الضرورية ، وكلا الاثنين يتخبطان في ظلام دامس .

اما المسيح ، وهو الوحيد الفرد ، فقد عرف ان يجد التوازن بين العلم الكامل وتلقين الناس ما يازم للسير نحو الغاية الاخيرة فاكتفى ببعض دلائل وبعض ابحاث وما ذلك عن جهل او عن ضعف . فالتأثير الذي ابقاه على من عرفوه هو تأثير من يعرف كل شيء ولا يحتاج الى من يعلمه . وهؤلاء الشهود هم الذين صوروه قنوعاً ، متحفظاً وكان عظيماً بسكوته . اكتفى ببعض الشيء ، بما كانت قلميه عليه الغاية التي ارسل لاجلها .

كانت غايته كشف اسرار محبة الله للبشر فاوضح واظن . الا انه احجم عن كشف اسرار الطبيعة والفنون والعلوم لان الانسان يقوى على ذلك دون ما مساعدة علوية خاصة ، احجم عن كشف اسرار الغيب وما وراء هذا العالم لان معرفتها لا تجدي نفعاً ، واما اسرار الالهة فرفض ان يوضح اكثر مما عمل لانا غير قادرين على فهمها ما دمنا في زمن التجربة على ارضنا هذه .

اكتفى ان اوضح بعض النقاط الهامة تاركاً كنيسته ان تكيف النقاط الثانوية حسب مقتضى العصور والامكنة جامعة هكذا بين الثبات الخلودى وبين التطور اللانهاى .

ولا حرج عليه فهو يثق بكنيسته ، لانه يثق بنفسه وقد قال : «ها انا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر » .

وبكلمة قد تكلم المسيح اقل من كل فيلسوف ومؤسس ديانة لانه كان يعرف احسن من الجميع صفات ونقائص النفوس البشرية ، ولانه كان يشمل بنظره كل الدهور الآتية ، كما انه كان باقياً في قلب كنيسته لكي يذكرها بما علمها ويفهمها فكره الاصيل ويوحى اليها عند الحاجة التكميقات اللازمة .

وكان المسيح معجزة في افكاره الرئيسية فهو مع تحفظه وتكتمه قد صرح بما يازم لتوجيه الحياة نحو الغاية الاخيرة .

فبعد ان اعلن موافقته على تعليم التوراة بوجود اله واحد لا غير قد احب ان يبين لنا حيوية هذا المبدأ العظيم فمهر عما لا يدرك بالفاظ تقرب اليها الحقيقة من خلال تشبيه واراننا هذا الاله التقدير الخلاق منعطفاً على الانسانية بخنور ابوي لا حد له . واراننا الانسان مرتفعاً فوق كيانه ، مشاركاً للالوهة في الالوهة والسعادة ، والرابط بين الالوهة والانسانية هو ذلك الانسان - الاله معجزة الكون واعجوبة الاعاجيب .

وقيسوا من هنا ، عظم النتائج التي تتولد عن هذه النظرة ومن هذه المبادئ . . . واي تأثير حسن لا تولده هذه الافكار في الادب والمحافظة على النظام . فاحترام الذات واحترام الاخرين والطاعة للسلطة والعمل لصالح المجتمع ، كل ذلك تتضاعف قواه لمعرفةنا اليقينية انا ابناؤا ب واحد وعائلة واحدة واعضاء جسم واحد تجري في عروقنا جميعاً حيوية نعمة المسيح الواحد .

وفوق كل هذا واحسن من اي تعليم ، قد كان المسيح اول من عمل بما علم ، فكان معجزة مثله ! واين هم منه آلهة الديانات والفلاسفة ، على مرور الحقب ؟

قد علم بالمثل لانه كان مصلاً للبشرية .

قد علم بالمثل لانه كان رسول الله الانسانية .

قد علم بالمثل ليعلمنا التبني بصفته ابن الله .

فأي فضيلة ، يتطلب المسيح منا ولم يسبقنا الى عملها . أولاً ترن في آذان الملا الى الآن تلك الكلمات الخالدة « وصيتي أن احبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا » وصيتي « أن احب الرب الهك من كل قلبك ونفسك وقوتك » ؛ « غذائي ان اعمل ارادة الآب الذي ارسلني » . . .

فما ابعده من المصلحين ومن الفلاسفة . هؤلاء يتكلمون والمسيح يعمل ، هم يفنون والمسيح يحيا الى الابد لانه جعل حياته كتاباً مفتوحاً يتعلم فيه كل انسان يأتي الى العالم .

وكانت خاتمة تعليم المسيح تعليقه على الصليب ، بكامل الاختيار وبملء الحب

والحنان . فكان صليبه ملخص حياته ينظر اليه السذج والعماء ، ويتأمل فيه  
المؤمنون وغير المؤمنين

فاحرفه من دم واقته الحب

ومن يلبث امام هذا المشهد عادم التأثر ؟ ..

فإلى النور!

إلى الحياة!

إلى الإنجيل!

ففيه الحياة للفرد

وفيه الحياة للأمة

وفيه الحياة للعالم

الاب لوسيان المفلوف المظهي

### العمر الضائع

لم اصب منه انتفاعا	لم اصب منه ضياعا
بل خصاماً وصراعاً	لم اصب منه سلاماً
ان يُلحَّ يمضي سراعاً	لم اصب غير سراب
غالبها تؤوي السباعا	لم اصب غير فجاج
حطم النفس وراعا	لم اصب غير شقاء
طيرت ابي شعاعا	لم اصب غير شوؤن
كل يوم يتداعى	لم اصب غير بناء
عنده الود يواعى	لم اصب خلاً وفيأ
لم اصب الا الخداعا	ذهب العمر ضياعاً

## المرأة في نظر الخالق (\*)

بقلم جورج برير

من أجل مآثر العصر الحاضر، ومن اعظم دواعي فخره وزهوه، هذه الاكتشافات الرائعة في عالمي الفن والعلم، اكتشافات وقف حيالها العقل البشري معجباً متهيباً، وصمت بالعصر الحاضر الى ذروة من العظمة، اصبحنا نخاف معها أن تأخذنا نشوة الخيلاء، ويصيبنا دوار الاعماق. فهو يانق انقراضاً فوق انقراض، سابق الحضارات. وتذرونا اعاير الفناء، هباء في الفضاء. فنغدو أثراً بعد عين وخبراً من الاخبار. ويجلو لنا ان نذكر بين هذه الاكتشافات، أجلها شأنًا واعظمها خطراً، ألا وهو «اكتشاف المرأة» يعني محاولة فهم هذا السكان الذي عايش الرجل آلاف من السنين، وبينهما جفوة وبعضاء. سببها الجهل وسوء التفاهم. وبودنا لو يعم هذا الاكتشاف الامصار كافة فتعجني البشرية ثماره الشهية، وتخف وطأة كابوس هذه الازمات الآخذة بخناق العالم.

ففي سبيل المصلحة الانسانية، وكقدمة لهذه المصلحة التي أوشكت ان تتم بين الرجل والمرأة وإقراراً بما أسدته المرأة من عوارف ومن الى البشرية قاطبة على توالي العصور، جنبنا في هذه الفصول المتلاحقة نوفي المرأة حقها، ونبين ما لها من منزلة سامية ورسالة علوية؛ مجتزئين في هذه المرة بالكلام عن « المرأة في نظر الخالق ».

\*\*\*

لنستطيع ان نتبين بجلاء منزلة المرأة في نظر الخالق، والغاية التي من أجلها أوجدها الى جانب الرجل لا بد لنا ان نعود بالفكر الى ايام الخليقة الاولى فنجد الروح الخالق يد يده القديرة لينتزع الوجود من العدم. فما هي الا ان يجعل

(\*) ملخصة عن كتاب تحت الطبع لصاحب الامضاء وعنوانه: « المرأة اجمال الرجال ! » .

صوته تعالى : « كن » حتى يكون له ما شاء من مخلوقات تامة التكوين ، بالغة غاية الاتقان ، تنطق في صمتها بقدرته وتعكس في نظامها حكمته وجماله .

فاذا فرغ الله من بسط السماء وترتيبها بألوف الكواكب والنيرات ، ومدّ الارض وتوشتها بصنوف الازهار والنباتات ، وتجهيز المسكونة بما يضمن فيها الحياة ، أمر فزحفت عليها الزواحف ، وعلت الطيور جناح الاثير ، وسعت الاسماك في الماء ، ودبت الدواب تضرب في مناكب الارض . والله يرى كل ذلك ويراقب كل حركة ونأمة . فاذا هو وفق مرامه ، يحقق ما أراد ، ويجسم ما تصور .

وينطوي الخالق على ذاته في شبه اختلاء وتفكير ، وما يطيل في خلوته ولا يمن في تفكيره ، فيخرج منها بتصميم جبار ويخطب نفسه : « لنصنع الانسان على صورتنا كمالنا » ويد يده الى تراب الارض يتناول منه قبضة باطراف أنامله ، ثم يجبلها في كفه بأصابعه ثم يعطيها شكلاً وقالباً . حتى اذا فرغ من عمله ، انحى على هذا الشكل فنفتح فيه روحه . فاذا الحياة تدب في هذا الهيكل الذي بناه ، واذا هذا الهيكل يتلملح بين يديه . ثم يستحيل بشراً سوياً يفرك عينيه كمن يدفع نعاساً يراوده ويفتح حدقتيه للنور ليجتلي مباهج الفردوس . فاذا كل شيء حوله ، شرك للانظار وفتنة للقلوب . واذا قلبه يحوم حول الكائنات جامدها ومتحركها ، تحويم الفراش على اكمام الزهور

وان آدم ليتخطر في الفردوس مختالاً في مطارف شبابه وجماله ، بين غلائل الانوار الناعمة ، وملامس النسمات الحريرية ، وفوح العطور المنعشة . تشع من جبينه اضواء المهابة والجلال وتوج في اهابه الفتنة والمذوبة . وان آدم ليتقلب نشوان في اعطاف الروائع والفتن ، يتمتع ناظريه ، ويتفقد ملكه وسلطانه ، وامائر الرضى والاستحسان بادية في ابتساماته المشرقة ، ونجواه العذبة مع ابيه وخالقه .

ولكن سرعان ما يفيق من نشوته ، ويمتد نظره عجائب المخلوقات وبدائع الفردوس . فيتزوي وفي نفسه زهد ونفور ، وفي قلبه جوع واستيحاش . فما كانت اللجنة بتورها وانوارها ، وعطرها وأنسامها ، وصفوها وأنغامها ، ولا آية الجمال متأقمة

في كل كائن ، وروعة الفن متألقة في كل خلقه . ما كان شيء من هذا ولا من غيره ، ليسبع جوعة قلبه أو يطفى . ذلك اللاعج المتأجج بين جوانح نفسه .  
وينظر الله الى آدم فترييه هذه الكتابة التي تغشاه . فيرسل نظرة نفاذة يسير بها غور طبيعته ويقف منها على سره . ثم لا يلبث الخالق ان يسترد نظرتة وقد فهم كل شيء . واستبطن كل دخيلة . لقد وقف على ما ينتلج في قلب آدم من حنين وتحرق وراء حلم ذهبي مجنح ملك عليه لبه ، واستشف ما ينجم في جنبات نفسه من ظلام موحش وفراغ مبهم .  
ورنا آدم نحو خالقه بنظرة تفيض أسى ولوعة ، وناجاه بلهجة تنضح تذلاً واسترحاماً (\*) :

« أي اسم يليق بجلاك فأدعوك به ، يا من يسمو على كل كائن ، ويعلم فوق كل خليفة ا أم كيف أؤدي لك عبادتي يا باري الكائنات ، ومفيض كل خير لسعادة الانسان ! أتتكلم امام سيدي وانا تراب ورماد ! وان القيت اليك كلمة فهل يشق عليك . ولكن من يستطيع ان يضبط نفسه ويجبس لوعته ا ؟  
« لا يثقل على سيدي ان اصارحه القول هذه المرة فقط .  
« لقد افضت خيراتك من حولي بسخاء لا تبقى معه بغية لمستريد . فلك جزيل شكري وامتناني !

« ولكن ا أجدني وحيداً بينها ، لا يشاركني فيها مشارك .  
« وهل من سعادة في الوحدة ! ومن تراه يذوق نعيماً في العزلة ! ! !  
واراد آدم ان يعصي في شكاته لينفس عن كربته . واكن خانه جلدته فخنقته العبرات وتهدج صوته . فغطى وجهه بيده واعرض استحياء .  
وان الحكمة الالهية التي لا يفوتها كمال في اعمالها بل تدبر الكائنات كلها بمنتهى العناية والاهتمام، نظرت في هذا الامر ورأت انه على الحقيقة « لا يحسن ان يكون الانسان

(\*) ما هو بين هلالين قد استوحيناها من « الفردوس المفقود » للشاعر الانكليزي

وحده « فقالت ها، نذا اصنع له عوناً بازائه » لئلا يتشوش النظام والتوازن في الانسان فيبتقص عيشه وتفسد سعادته . ولذلك « اوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام » .  
وانحنى الله برفق على آدم يعالجه بالتي هي أحسن . ففتح جنبه واستل منه ضلعاً ،  
عركها حتى لانت ونعمت ورقت فسوّاها بشراً سوياً كامل الرواء . والجمال يجد فيه  
آدم انساً وسلواناً ، وهتف به قائلاً :

هوذا ما يهفو في اثره قلبك ، وما تنظماً الى لقائه روحك ! فطِبْ نفساً وأنعم  
بالأ يا آدم ! فهذه عونك وشبهتك ، وشقة من نفسك بل ذاتٌ اخرى لك !  
وربتت الله على كتف آدم كآرأف ما تربت الوالدة رضيعها لتوقظه . وتعلم  
آدم وفرك عينيه كمن يغالب النعاس ويبعد الكرى . فوقع نظره أول ما وقع على  
حواء ، ترمقه بنظرات طاهرة ملوؤها الرقة واللطف ، فاستأنس بها آدم كمن وجد هناءه  
واستكمل سعادته ، فلم يتالك ان هتف :

لك الشكري يا صانع كل خليفة ، ويا مبدع الجمال في الكائنات ! الآن  
حققت آمالي وأحلامي ، وأنتلني بغيمة قلبي . فمحتني أجمل خلائتك ! وافرحني وأنا  
أرى عظماً من عظمي ولحماً من لحمي ، بل ذاتي امام عيني . فأمرأة يكون  
اسمها ، لانها من امرئ أخذت . وفي سبيلها يترك الرجل أباه وامه ليكونا جسداً  
واحداً وقلباً واحداً ونفساً واحدة !

تطلع آدم في ذلك المحيا الوسيم ففتنه فيه يباض الزنبق وقد اشربه الورد حمرة  
خفّره ونضرة روائه ، فخال ان سحراً يغشى كل كيانه من انوار تتألق على جبينها فتشير  
في قلبه الغبطة والهناء والسعادة . فتقدم ليأخذ بيدها وهي لم تتجرأ بعد ان تكلمه  
وقال :

ألا ايتها الخليفة الكاملة السناء ، إنك تجهلين من انتِ ومن انا ، انا انتِ « عظم  
من عظامي ولحم من لحمي » ا لقد سلخت لك من جنبي ، اقرب ما يكون لقلبي ،  
هذا الكيان الذي اعطيتك . فكأنني نزعيت جوهرتي وحياتي لاراها أبداً الى جنبي  
تعزية حبيبة لا تفارقتي . فيا بضعة من حياتي ، ويا نصف روحي ، ها انا افنش

عنتك ، واطلب فيك نصفي الاخر ، فعلام تنهريين ا ؟

فاستأنست حواء بعد نفار ، واضاءت نفس آدم بعد تجهم ، وتألقت الجنة بأنوار لا عهد لها بها ونظر الله الى رائحته الجديدة ، وما كان لها من أثر على خليقته كلها ، « فاذا هو حسن جداً ا ». كيف لا ، وقد حقق خليقته الاولى اجلّ مناهها ، واستكمل بها الانسان كيانه فاتخذها سنداً لروحه ، وينبوع غبطة لقلبه ، ونوراً يستجلي على ضوئه ما افاض الله عليها من خفر وطهر وفتنة وحنان اكرنها الله من ضلع آدم ، ولم يتخذها من تراب الارض . او ليس هذا دليل رقتها ونحافتها ، وينبوع فتنتها وسحرها ؟ وان صح ان الجسم مرآة النفس ، ألا تكون نفس حواء أرق وأدق ، وأكثر هفوة وشغفاً ا ثم اي عجب بعد ذلك ان يقولوا فيمافوا في القول : ان آدم كان بمثابة التجربة او التصميم ، واما حواء فكانت آية في الفن والروعة .

كيف لا ، وحواء هي عربون الحب ، او خلاصة الحب : « حب الله الذي كوّنها من آدم ليهدئها اليه ، وحب آدم الذي اعطى من ذاته ليكونها » (Scheben) ويقول بوسويه : « ان الله بعد ان خلق الانسان الاول ، وضع في قلبه الرقة لتكون الدمعة الدالة على ان الله هو الذي خلقه . فلما جاء دور حواء ، واستلها الله من جنب آدم يظهر انه سلبه هذه الرقة وجمعها كلها خالصة ليصوغ منها حواء . حتى لقد :

« صاغها الله من طهارة نفس وعفاف وفتنة وكرامه »

ومن هنا القول المأثور : « الرجل عقل ، والمرأة قلب » . وكفاها مديحاً هذا القول ا فالقلب ما زال ولن يزال في لغات البشر على اختلاف العصور والامصار ، رمز أنبل العواطف واسماها ، بل عنوان الرقة والرحمة ومعين اشرف الرغبات وأقدسها . وبكلمة ، هو ينبوع ومركز الحياة العاطفية ، هذه الحياة ، التي لو احسن البشر تنظيمها وتديورها ، لكانت لهم مدرجة للعبقرية والنبوغ وكانت للعالم نعمة عظي تقضي على ما فيه من ظلم الانسان لاخيه الانسان ، واستعباد شعب لآخر ، وتطاحن بين مختلف الطبقات .

ونحن نحتاج في هذا العصر أكثر ما نحتاج ، الى تهذيب الحياة العاطفية لان بناء الاخلاق يرتكز عليها . والاخلاق هي العنصر الاول والعامل الالم في رقي الشعوب وتقدم الانسانية برغم تبجح القوة وادعاء العلم ، ورغم ضلال العصر الحاضر الذي آله العلم ودان بالقوة في حين أحل الاخلاق المنزلة الثانية . وفي هذا القلب ما فيه من ويلات وشروز ما زال العالم مستهدفاً لها وسيظل كذلك الى ما شاء الله ؛ الى ان يعود البشر الى التعقل ، فيعيدوا للاخلاق اهميتها ومزاتها . « والتاريخ يعلمنا بان الشعوب تضحل ، لا عن ضعف في مداركها ، بل عن ضعف في اخلاقها » .

فما احوجنا اليوم الى هذه الامثلة الرائعة يلقيها الخطيب الشهير لاكوردير على معاصريه الذين أخذهم دوار العلم والتبجح بالقوة فيصارعهم قائلاً : « لو وجب تشييد هياكل لعبادة شيء بشري ، فأحبّ الي التعبد لرماد القلب مما لرماد العبقرية (\*) » .

« S'il fallait dresser des autels à quelque chose d'humain j'aimerais mieux adorer la poussière du cœur que la poussière du génie »

وما المانع يا ترى ان تكون هذه العاطفة رائدنا في معاملتنا للمرأة ، وهي على ما نعلم تجسم القلب البشري باسمي معانيه ورموزه ، بل هي القلب تجوّر قابلاً وتبدل شكلاً واتخذ هيئة امرأة ؟

اما الغاية التي من اجلها وهب الله حواء لآدم ، فهي واضحة لا تحتاج الى تدليل . والله نفسه جاهر بها عندما قال : « ليس حسناً ان يكون الانسان وحده فلنصنع له عوناً بازائه » فالوحدة ولو كانت في جنان الفردوس ، وحشة ومجلبة لاسأم على ما تشير اليه الآية . وان الحياة صعبة والانسان أعجز من ان يقوم باعبائها وحده ، لما فُطر عليه من نقص . فلا بد له من عون بازائه . ولذا خلق حواء واتى بها آدم لتؤنس وحشته ، وتكمل نقصه وتكون له خير معين على أمره ولم يخلقها الله الا لانه لمس نقصاً في كيان آدم ، ولحظ فراغاً بين خلقتيه . فتلافياً لهذا النقص وسدّاً لهذا الفراغ قال : « ليس حسناً ان يكون الانسان

وحده « ثم اتبع القول بالعمل : » فلنصنع له عوناً بازائه « وهكذا نحن على ضلع آدم راضياً متهللاً وبرز تلك الآية الرائعة التي ندعوها حواء او المرأة .  
 وبديهي ان الله لم يصنع حواء على مثال آدم ، وإن تكن مساوية له في الطبيعة وغاية الوجود ، بل على مثال خاص يكمل آدم او يسد نقص آدم فيولفان كلاهما كائناً بشرياً كاملاً . ولهذا السبب زينها بما حجبه عن الرجل او لم يهبه اياه الا بشح وبمقدار . فزين آدم بالعلم والحكمة والقوة ، يعني بمجموعة الصفات التي ندعوها « الرجولة » او « الذكورة » ثم لملم ما نشره في الخلوقات من حنان ورقة وعطف وفتنة ، ومزجه وسكبه ثم نفخ فيه روحه ، فكان المرأة قلباً وقلباً ، او ما نسميه « الانوثة » . وهذا الكائن الجديد ، استوفى الانسان كماله ، واستكمل كيانه ، وضمن بقاءه وهناءه .

هذه هي المرأة ، وهذا مكانها من الرجل ، وهذه هي الغاية التي من أجلها اوجدها الله الى جانب آدم ، ونسله من بعده . فاحراها بتبجيلنا واجلالنا ، وما أفضع عقوقنا بتهربنا من القيام بهذا الواجب ، بل ما اعجزنا فيما لو حاولنا القيام به ! ونحن اذا تحرينا الاديان على اختلاف مذاهبها وتناقض عقائدها ، وجدناها مجمعة على شيء واحد ، ألا وهو اكرام المرأة وتقديس رسالتها لاسيا اذا اصبحت أمّاً . وحسبنا من ذلك ما نجد في الدين اليهودي ، وهو منبثق بقية الاديان ومعين عقائدها ، من توصيات في حق المرأة باعتبارها أمّاً . واول ما تأمر به الوصايا هو وجوب اكرامها : « اكرم اباك وامك فيطول عمرك » فاذا تجاسر أحد واستخف بها ، فهو « ملعون من الرب وعينه ثقأها غريان الوادي وتأكلها فراخ النسر » اما من عقها او ضربها « فيقتل رجلاً بالحجارة » الى آخر ما هنالك من تهديدات وتوعيدات تنخلع لهولها القلوب .

ومن هنا تسرب الى بعض الشعوب القديمة ، اعتقاد بأن في المرأة شيئاً من اللاهوت يجب تهيئته ، وشيئاً من السحر يجب التخوف منه . هذا ما علمه « مانو » ( Manou ) مؤسس الدين الذي يعرف باسمه . وهو القائل ايضاً : « ان البيت

الذي تلعنه امرأة مظلومة ، لا يلبث ان يتهدم وتنقض اساساته . وهذا عينه .  
جاء في شريعة موسى حيث يقول : « لعنة الام تقلع أسس البيوت وتطفىء  
سراج الحياة » .

وقد ذهب سكان ايسلاندا القدماء الى الاعتقاد « بان الزوجة اذا توفيت على  
أثر وفاة زوجها ، فهي ضمانة لخلاصه من الجحيم ودخوله الجنة ، لان فيها من  
اللاهوت ما يولياها القدرة على افتداء النفوس من الجحيم » . ونجد أثراً لهذا الاعتقاد  
في شرائع سكان السويد ، وعند السكسون والفرنك والجرمان والبلغار  
والبارديين . وجملة القول ان الشعوب القديمة كانت بالعموم تنظر الى المرأة نظرها  
الى لغز يستحيل حله ، وطلم لا سبيل الى فهمه . فهي من الضعف والوهن بحيث  
يستطيع اي رجل ان يسحقها لو اراد . لكنها مع ذلك كانت تذهله وتتسلط عليه ،  
كأن بيدها عصا سحرية ما ان تلوح بها امام عينيه حتى يستخذي ويستسلم . فتجده  
وهو الجبار ريبب الكفاح وغلاب الصعاب ، يحمل اليها جراحه لتضمدها وتسكب  
عليها بلسم حنانها وعطفها . فيطمئن اليها ، وعليها يعلق آماله حتى ليحرق لها ان  
تفاخر بقولها :

« وجرح قد أظفنه بلصي وإن هو مسه غيري يُضامُ »

فاذا الاسد الضرغام حمل وادع يستجدي التذليل والملاطفة . يرجو منها شفاءه  
ومن يريق عينيها وعذب ابتساماتها يستحلي أمل العافية .  
زد على ذلك انه اسند اليها الكهانة والتوسط بينه وبين الآلهة . فبنى لها  
الهياكل والمعابد واقامها حافظة عليها ، فارضاً احترامها وتمييزها ، وشملها بشيء من  
قداسة المكان الذي تقوم على خدمته . فكان يلجأ اليها الانسان اذا ما المت به  
ناثبة فأراد دفعها ، او اعوزته حاجة فرغب في نيلها . يستشيرها في أمر المستقبل  
ويستعين بها على فكّ طلاسم الغيب او الاتصال بالارواح . وأخبار الكاهنات  
وسدنت الهياكل وتنبؤاتهن اشهر من ان نحتاج الى ذكرها هنا . كزاجرات الطير  
عند العرب وناقفات الحصى والباحثات في احشاء الحيوان .

وفي مصر كانت اسمى الوظائف الكهنوتية تسند الى النساء ، لاسيما في معابد الآلهة : (Nit, Hathor, Pakhit...). وما نفس لا ننسى «القيستال» (Vestales) اي الفتيات اللواتي كن ينتخبن من بين الوف العذارى الرومانيات ليقيمن بجدمة الهيكل في روما وتعهد النار المقدسة ، ينفق عليهن بسخاء من خزينة الدولة ويعاملن بما لا مزيد عليه من الاحرام والاحترام . فلو التقين اتفاقاً في الطريق بجرم يساق الى الموت ، وشفعن به ، اطلق سراحه دون ما نظر الى اجرامه . واذا طُلبن الى اداء شهادة ، فكلامهن هو الصدق بعينه ولا يجوز ان يطلب منهن الحلف . وكان القضاة والقناصل اذا التقوا بهن في الطريق العام ، تنحوا ليفسحوا لهن السبيل تأدباً واحتراماً . الى آخر ما هنالك من امتيازات تدل على الميزة السامية التي احتلتها المرأة في اعتقاد الشعوب .

فكان الرجل بعمله هذا اراد ان يكفر عما اسلفه من امتهان المرأة والزراية بها . فعمد الى رفع منزلتها حتى بلغ بها حد التقديس والتأليه . وان يتهمنا احد بالغلو او التحيز المرأة اذا زعمنا له ان العناية الالهية هي التي دبرت هذا التدبير ، حتى تثار المرأة من ظلم الرجل لها ، وتطاوله عليها وهي شريكة حياته وشبيهته بالطبيعة . فالمرأة كانت ولا تزال في اعتبار الكثيرين ، رسول الشر الى العالم وسبب هذا الشقاء الذي تتخبط في غمراته . حتى اصبح اسم حواء مرادفاً للويل والفساد ، واصبحت المرأة ينبوع المصائب والويلات فأرادت العناية الالهية ان تستخلص الخير من الشر وان تتخذ المرأة أداة لباوغ هذه الغاية فيتم القول المأثور : « وكل شيء ضده من جنسه » فسأحتها لذلك بالرفقة والفتنة والعطف ، اذ لم تجد دواء النجع تقاوم به جرائم الفساد وتكسر من شره الرجل . وبهذا اصبحت المرأة اداة خير ورسول صلاح بعد ان كانت مصدر شر وفساد .

وهذا جلي يشع بأحرف من نور في كتاب التوراة ، هذا الينبوع الصافي الذي اغترفت منه الاديان الثلاثة الكبرى جل تعاليمها وعقائدها . فهناك نجد ان الخالق « جعل عداوة بين الشيطان والمرأة » كأنه بذلك اراد ان تكفر المرأة عن هفوتها .

ولم يكمل الله امر الشيطان للرجل ، ولا جعل العداوة بين هذا وذاك ، بل بين الشيطان والمرأة واعدأ اياها بان تظفر به وتسحق رأسه بن يأتي من نسلها .

وهكذا استعادت المرأة سابق منزلتها في اعتبار الرجل ، واخذت قليلاً قليلاً تفرض عليه احترامها واجلالها . حتى بات هذا الاكرام واجباً مقدساً على كل نفس ابية شريفة وحتى اصبح ميزة خاصة تعرف بها النفوس الكريمة . كما جاء في المصحف الشريف : « ما اكرم النساء الا كريم ، ولا أهانهن الا لئيم » وصار اليوم اسم المرأة رمز الكرامة وعنوان التقديس . فلا تذكر او يحضر شخصها حتى تُطأطأ الرؤوس اجلالاً واحتراماً ، برغم تباین المشارب والاخلاق . ومن لا يذكر وقفة « الكونت مونتلمبير » امام مجلس الشورى الفرنسي مدافعاً عن الكنيسة الكاثوليكية ذلك الدفاع الملتهب حماساً ، الفياض فصاحة وبلاغة ولكن دون ما جدوى . فالخطيب كان عبثاً يعالج عقول وقلوب سامعية ليحركها ويعغم اقتناعها ورضاها . حتى فطن الى حجة كانت قد نددت عن خاطره فصرخ بلهجة حازمة متهية :

« استحووا لي ايها السادة بهذا التشبيه العامي المألوف : اذا قُدِّرَ لرجل ان يناضل ضد امرأة ، فتستطيع هذه المرأة ان تتحدها دون ما خوف أو وجل فتقول له : « اضرب ا انك بضربك لا تقهرني بل تحزى وتلبس العارا » والكنيسة ايها السامعون ، ليست امرأة فحسب بل هي اكثر من امرأة ! انها ام ! » وانفجر الحشد الغفير بتصفيق دوت له القاعة وانهارت امامه كل مقاومة .

هذه هي منزلة المرأة في نظر الخالق ، وهذه هي المهمة المنوطة بها . وكان احرى بالرجل ان ينعهم النظر فيها وان يتقيد بما املاه الله من واجب احترامها . ولو فعل ، ما عادته وعادها ، ولا شقي وأسقاها . وكلا الامرين لو يعلمان جسيم .

# روسيا ما بين سنتي ١٩١١-١٩١٨

(تابع)

والدجال الذي عبث بمقدراتها

## للاستاذ هيب السبوي في الاخص

(قللاً عن احدى امهات النشرات الاسبوعية (الباريزية)

استعدت «موسكو» هدوءها بعدئذٍ . لكن الافكار ظلت مضطربة وعلى الاخص فيما بين الطبقة المثقفة الراقية التي كانت تنحو باللائمة على سكان «بتروغراد» واهل البلاط . فالبلاط كان في نظرهم المائي العواطف ، لا يجب «روسيا» ، بل يتمنى انكسار جيوشها ، ويسعى في خرابها .

فالصراع الذي توالى بلا انقطاع ، منذ سنتي سنة فيما بين حاضرة الشعب السلافي الارثوذكسي ، وعاصمة «بطرس» الكبير ، لم يكن في اي وقت من الاوقات اكثر احتداماً مما كان عليه في تلك الايام .

ففي تلك الحقبة ، اي حوالي السنة ١٨٦٠ ، كان المفكر المتحمس «قسطنطين اكساكوف» يؤنب طيف «بطرس» الكبير بمعارات حادة ، قائلاً : «لقد أنكرت روسيا وكل ما فيها ، لذلك ختم على عملك بجامع اللعنة . فانك هجرت «موسكو» بلا شفقة ، ورحت تبني بعيداً عن شعبك مدينة مازوية ، با أنك لم تستطع أن تعيش بين ظهرانيه» .

وفي الوقت ذاته كان اخوه «ايقان اكراكوف دستويشسكي» يقول : «لا ينبعث الروح القومي فينا الا اذا مقتنا «بطرسبرغ» بكل قلبنا وكل قوانا ، وبصقنا عليها» . واما الان فان كره الناس «لرسبوتين» والاشتمال منه جعل اكثرهم يرغبون في البصق على «بتروغراد» .

وهذه الرغبة ما عتمت أن بدت باجلى بيان ، الامر الذي اقلق بال «نقولا الثاني» ، وجعله يدرك أن الضرورة تقضي بتسكين روع «موسكو» . وكان تفكيره هذه الدفعة حراً ومصيباً ، لان «رسبوتين» كان قد ابتعد عنه ورحل الى قريته «پوكروشكويه» العزيزة على قلبه .

ففي اوائل شهر تموز نُجِّي عن منصبه «سابلر» الوكيل الاعلى للمجمع المقدس ،  
ذاك الرجل الذي كان دَرَج يد محيي الالمان الساعين في عقد صلح منفرد ، وهو الذي كان  
المنافق «رسبوتين» قد توصل الى جعله رهن ارادته بسعيه في اسناد اعلى منصب ديني  
اليه . فخلقه رجل من «موسكو» اصيل نبيل ، ووطني مخلص ، صاحب عقل سديد  
وضمير نقى طاهر ، اعني به «الكسندر ديتريافتش سمارين» صديق الارشيدوقة  
«البيصابات» الحميم .

فبذل «سمارين» اقصى جهده لاعادة النظام واللياقة والنقاوة الى جميع رجال الدين .  
لكن ارتقاؤه الى هذا المنصب الخطير استثار حفيظة القيصرة . وبما أنها لم تستطع أن  
تحول دون تعيينه ، فانها جاهرت بعدوانها له ، وظلت تردد على القيصر الكلام التالي :  
«ألا تعرف أن «غريغوري» هو حاميينا الوحيد في هذه الدنيا والمتشفع بنا عند الله . . .  
فإن سمحنا باضطهاد صديقنا البار ، عوقبنا انا وانت اشد عقاب . فننقذ ابننا ثم العرش ،  
فروسيا . . . ألا تراني سقيمة مريضة مما يجري الآن ؟

فشل هذه التوسلات لا تصدر الا من فيه مس . فلا عجب ، لانها لم تكن ترى في  
شخص «سمارين» الا زعيم العصاة الخائنة الملحدة المضللة التي سعت السعي كله في  
اجادها شقيقتها ، اي الراهبة النقية . فيا للاسف العظيم ! . . .

غير أنها لم تياس بل شنت على الوكيل الورع النشيط حرباً عواناً . فكانت تدعو  
بعضهم الى مناهضة المجمع المقدس وتستحثهم على الانتفاض عليه . ( والمجمع المقدس هو  
اعلى سلطة في الكنيسة ) . وكان معاوناً لها رجل وقح مجرّب تنفر منه النفس ، اعني  
به «فرناقا» مطران «توبولسك» صديق «رسبوتين» الحميم ورفيق صباه . وفي سعيها  
هذا الذميمة ابدت من الحماسة والمثابرة والنشاط ما اكروه القيصر في آخر الامر أن يذعن  
لها . فُنِجِّي «سمارين» عن منصبه ، واطلق سبيله كما يطلق سبيل نذل بلا عذر ولا  
سبب . ونصب مكانه رجل خامل خانع ، أليف «رسبوتين» اسمه «الكسندر نقولا  
فولجين» .

وعلاوة على ذلك فان رئيس المجمع المطران «فلاديير» رئيس اساقفة «بتروغراد»

الذي كان سلوكه في هذه الازمة لا غبار عليه نقل الى « كياف » ليفسح المجال للطران « بيترم » « اكمارخوس » الكرج واحد اعوان « رسبوتين » .

وهكذا قضت القيصرة وطرها ، وانتصر المشعوذ الدجال السيهري . فتنجحية « سمارين » وما استنارت من شكوك ، وظهرته من حماقة وبلاهة المستولين على اعلى مقام في البلاد ، ذلك كله قد زاد في تشاؤم الشعب الروسي الذي كانت اوجاع الحرب ونكباتها قد آلتته في الصميم والقتة في دياجير القنوط .

وفي مدينة « موسكو » كان الذعر والدأثة قد شملا الجميع . وكانت التكهينات الاشد تشاؤماً تدور على الالسن ، فيتناقلها الجمهور قائلًا : قد زال الامل . . . فالحكم سيتلاشى . . . وروسيا ستضمحل . . .

وكان اصداق « اليصابات فيودوروفنا » يحيثون اليها ، وينجبون امامها ، ويشكون اليها ألمهم . فكانت تصغي اليهم والابتسامه على ثغرها كعادتها ، مع أن المهم والغم كانا قد اسقما وزادا في اصرار وجهها . فلم تكن تجيبهم ، بل تكتفي بقولها « غسبودي يومياوي » اي : يارب ارحم ، مؤيدة بذلك تنبأتهم المفجعة .

وان مدى التأثير الذي احدثه في عامة الشعب ابعاد « سمارين » ظهر باجلى بيان في ما كتبه آنشد الجرائد الروسية عن « رسبوتين » ، غير مهالية بالوامر الصادرة اليها ، وغير مكترثة لما كانت تبديه المراقبة من الشدة .

فكانت جريدة « يوجويه فيدموستي » اي انباء البورصة هي البادئة بالطعن : فقد شرحت شرحاً مستفيضاً ماضي الرجل ، ذاكرة دناة اصله وفصله ، واختلاساته ودعارته وفسقه ودسائسه ، وما تثيره من الشكوك علاقته ببعض افراد الطبقة العليا ، وارباب المناصب الكبرى ، واعاظم رجال الكهنوت . واما أفته للقيصر والقيصرة فان الحكمة كانت تقضي بازوم الصمت عنها . وذلك ما فعلته الجريدة المشار اليها . فكان كاتب تلك المقالات يتساءل : كيف استطاع مغامر سافل دني . أن يهزأ بروسيا بلا رادع ولا وازع . ألم يكن من العجب العجاب أن نرى الكنيسة والمجمع المقدس ومصاف الاشراف وجماعة الوزراء . واعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الشورى و « الدوما »

يخافون هذا اللثيم الوقح؟ أهناك جرم افطع من الذي اقترفه الحكم الخالي؟ ان اسم «رسبوتين» كان حتى امس الغابر مثيراً للشكوك في الحقلين السياسي والاجتماعي .  
واما اليوم فان روسيا تريد ان يبطل ذلك . . .

وبما ان وزير الشؤون الداخلية ، الامير «تشرباكوف» لم يتلاف هذا النشر ، فانه عزل ، وحل محله رجل انتخبه «رسبوتين» نفسه ، وهو «الكسيس نقولايفتش خفوستوف» محافظ «نجني نوفغورد» واحد نواب حزب اليمين في مجلس «الدوما» .  
وكان القيصر قد تردد باديء ذي بدء في تعيينه ، لان الرجل كان مشكوكاً فيه حتى ما بين افراد حزبه الذين كانوا يعرفونه دسأساً مدهاناً ، وخداعاً مغامراً ، لا ذمة له ولا ضمير . على ان القيصرة ما لبثت أن بددت تردد زوجها ، فحملته على تعيينه قائلة : لا لا خوف من اسناد المنصب اليه . سيؤيده الله والملائكة ، لانه يجب «غريغوري» محبة صادقة .

وما انقضت بعدئذ اربعة اشهر حتى غدا «رسبوتين» و «خفوستوف» عدوين ألدّين . فالاص الجدل ، اي «خفوستوف» آل به الامر الى محاولته اغتيال السيري الفاسق بيد الشرطة . ولعزل الوزير بلا ابطاء ، كتبت القيصرة الى بعلمها الذي كان يقيم آنشر في مركز القيادة العليا قائلة : لقد وقع «خفوستوف» في حبال ابليلس . ذلك بينما كانت الراهبة رئيسة دير «مرتا ومريم» اي الارشيدوقة «اليسابات» تردد :  
«غوسبودي يوميأوي» !

وكانت حالة الجيوش الروسية في اواسط شهر آب لسنة ١٩١٥ اضعفت حرجة . وكان يبدو ان اعظم كارثة ستنتزل بها ، حتى ان وزير الحرب الجزال «بوليانوف» الرجل الشجاع المقدام قال لزملائه في غضون اجتماع عقده : «لم يعد في وسعي أن أقول جيوشنا تتقهقر . فهي بالحري تنهزم . فما اشد ما آلم القيادة العليا هذا التراجع المتتابع الذي بلبل افكارها . فلم يعد يسمع الا امر واحد وهو : الى الورا . . . الى الورا . . . فأراء القواد الطائشة والاورام التي كانوا يصدرونها مناقضين بها بعضهم بعضاً ، كان من شأنها القاء اليأس في قلوب اشد الناس عزماً وحزماً .

فمعدنذ عزم تقولا الثاني أن يتولى هو نفسه القيادة العليا مدفوعاً الى ذلك بأشرف إلهام ، وقائلاً لسفير فرنسة : « ان احتاج خلاص روسيا الى ضحية تكفير فسأكون انا تلك الضحية . . . لتكن مشيئة الله . . . »

فابتداء من يوم ٦ ايلول اخذ القيصر على عاتقه عبء جميع الاعمال العسكرية وجعل يقيم في «موهليلف» مقر القيادة العليا، الواقعة على بعد ثمانى مئة كيلومتر من «بتروغراد». واما القيصرة فانها بقيت مع اولادها في «تساركويه سيلو» . فيلها الجامح الى السيطرة قد دفعها الى التدخل المستمر في الادارة العليا لشؤون الدولة ، كما لو كان القيصر انتديها لتقوم مقامه . وكان اغلب الوزراء يتظاهرون باستشارتها، بل بطلب اوامرها ، ويصفونها بالقيصرة العظيمة ، وما ذلك الا ليحافظوا على ما لهم من الخطوة . واما هي فنظراً الى اضطراب اعصابها ، وتهميج مزاجها ، لم يكن في وسعها ان تفكر في اي امر من الامور بسكينة من غير أن تخضع لعواطفها . فكانت اسيرة اوامرها ، رهينة اميالها ، يتقاذف بها حبها وكرهها وحقدها واعتقاداتها الباطلة التي كانت تجعلها تعكف على الصلاة الساعات الطوال ، وتنهك قواها بالصيام والتشف ، وتحرم نفسها راحة النوم ، ولا تتناول من الغذاء الا الشيء اليسير . وقد آل ذلك الى اختلال صحتها ، وصيرورتها العوبة في يد «رسبوتين» . فكيف تستطيع والحالة هذه ان تقاومه . ألم تكن سعيدة بطاعتها له بتدال ، وهو الذي كان يقول لها : « اوحى الله الي في الايام الاخيرة باشياء خطيرة . فاني الآن اعرف أني سأموت قريباً بالأم مبرحة . . . فما العمل . . . ان العناية الالهية قد دعنتي لاضعي بنفسي لاجل خلاص القيصر ، وخلصك ، وخلص اولادك ، وروسيا جمعاً . ورغم خطاياي الفظيمة ، انا مسيح صغير كالذي ينقشونه في الايقونات «ملانكي خريستوس» .

فكان هذا الخليع المتهتك يتظاهر بظهور اولياء الله امام «الكسندرا فيودوروفنا» المقنونة به ، المفرورة بنزع علاته .

فاشترك القيصرة و «رسبوتين» في ادارة دفعة الحكم ، كان عاقبته تداعي نظام الحكم بأجمعه ، فدب الخلل والاهمال والتزاع والفوضى في كل نواحيه ، ذلك

فضلاً عن الاختلاسات التي كانت تقترف ، لان القروي ، كان يحرق وروءه عصابة دينية مؤلفة من المنافقين والخداعين والمغامرين الذين كان يتحتم عليه اروءه جشهم . وكانت الجيوش الالمانية والنمساوية تواصل توغلها في روسيا ، وما من شيء يقف حائلاً دونه . فتقدمها هذا لم يكن في منتهى السرعة ، اذ انها كانت كلما ابتعدت عن قواعدها ، تزداد صعوبة تموينها في السهول الروسية المترامية الاطراف ، المعصورة بالناوج .

اما الجاسوسية فقد فُتِحَ بابها على مصراعيه منذ ما اخذت القيصرية تطلع «رسبوتين» على الخطط العسكرية « ليوافق عليها ويباركها » .

وفي غضون تلك الحقبة المحزنة كانت « موسكو » محور الوطنية الحقة كما سبق لها أن تكون غير مرة . فاتحاد « الزمتسكوس » كان اول من نظم العمل المناهضة جنون « بتروغراد » المجرم . وقد تألفت تلك الجمعية منذ بضعة اشهر لتنظيم موارد البلاد الاقتصادية ، بزعامة رجل عريق في النسب ، صاحب اخلاق شريفة ، ووطنية صادقة ، ونباهة عظيمة ، ونشاط متقد ، ونفوذ بارز كان يستمده مما لشخصيته من سيمية هادئة . وهذا الرجل هو الامير « جورج افغيانيافتش لثوث » احد ارباب المناصب العليا في ديوان وزارة الشؤون الداخلية ، ومن ذوي الخبرة الواسعة .

ففي ٢٥ ايلول طلب الامير جورج هذا مقابلة القيصر ، وقصده أن يقول له من قبل زملائه ان من الضرورة القصوى وضع حد للاخلال الطارىء على نظام الحكم باسره ، ويتوسل اليه ان يصغي الى « صوت الوطن الروسي » . لكن طلبه رفض بحجة أن لا شيء يجوز « الزمتسكوس » الحق بان يتكلم باسم « الوطن الروسي » .

واما « اليصابات فيودوروفنا » فانها بقيت في تلك الحقبة بعيدة عن السياسة ، منسرفة الى عمل البر والاحسان ، مهتمة بما تفرضه عليها القوانين الرهبانية . ومع ذلك كان الناس يأتون اليها زرافات ، فتعلم منهم ما هو جارٍ في البلاد . فكم كانت تؤلمها اعمال « بتروغراد » الحمقاء واشتزاز سكان « موسكو » منها . فقد عرفت أنهم كانوا يقولون على قارعة الطريق بلا خوف ولا تستر : « ان ظهر القيصر في « كرملين » هذا

الناس منه ساخرين . وإن رأوا القيصرة ، قطعوها ارباً ارباً .  
 وكانت تدمي فؤادها التهم التي كانوا يتهمون بها العاهلين من كل صوب بزيد  
 السخط والحق ، وعلى الاخص لتركها « رسبوتين » ابن ابليس اللعين يصبح رأس  
 الكنيسة المطلق السلطة ، فتعد ذلك جرماً عظيماً بل خطراً داهماً يهدد البلاد بأسرها .  
 فأُزل « سمارين » بتلك الفظاظة حتى غدا السينودس المقدس خاضعاً « لرسبوتين » .  
 وكان افراد المجلس الاعلى يرتعشون امامه خوفاً منه .

ومن الفضائح التي جرت حينئذ ، وآلت الارثوذكسين في الصميم الحادث الغريب  
 التالي ، وهو أن مطراناً يدعى « يوحنا مكسيموفتش » وقد مات في « توبولسك »  
 سنة ١٧١٧ في ظروف غريبة ، رفع الى مصاف القديسين . فالجمع المقدس كان بادىء  
 ذي بد . رأى أن في الامر لسراً ، بما أنه لم يكن احد يؤيده ويرغب فيه الا مطران  
 « توبولسك » المباحك المعربد ، واعني به السيد « فرنافا » خدن « رسبوتين » . وكان  
 مرامه احداث مزار في ابرشيته ، يأتيه العاهلان وحاشيتهما زائرين ، فيصبح المقام من  
 جراء ذلك مصدر ارباح وافرة .

وقد ابى الجمع المقدس أن يقوم بهذا « التطويب » حتى صدرت فجأة ارادة القيصر  
 بالموافقة عليه . وللحال كتب بحفاوة في سجل الابرار القديسين اسم « رجل الله يوحنا  
 مكسيموفتش » .

وفي غضون الاشهر الاولى التي لمع فيها السيبيري « الصانع العجائب » كان له اعوان  
 اقوياء ما بين الاكليروس العالي . وكان هو الذي يزورهم في مقرهم الرسمي . واما هم  
 فكانوا يتحاشون الاقتراب من مكان سكنه من جراء ما كان يشاع عنه من الاخبار  
 المزرية .

بيد أن الامور تبدت بعدئذ اذ ان رؤساء الاساقفة والمطارنة وارباب المناصب الدينية  
 الاخر شرعوا يترددون عليه في رابعة النهار . والكثيرون منهم كانوا في اَبان زيارتهم  
 يكتشون الساعات الطوال في منزله الذي كانت تنبعث ، من اثاث غرفه المبعثر ، رائحة  
 كريمة تركها فيه الافراط في الاكل والشرب .

ومما يدعو الى الدهشة أنه اخذ مجالس في قصفه الذي كان يبعث على الاشمئزاز  
 حزين انهات عليها مراراً وتكراراً صواعق السينودس المقدس ، واعني بهما مطراني  
 « فياتكا » و « كرنستاد » السيدين « ايزيدورس » و « ملكيصادق » . فالسيدة  
 « فيرويوف » بعدما تعرفت اليها جاءت بها الى القيصرية التي اكرمت وفادتها مستقبلةً  
 ايها احسن استقبال . وقد صدق الجنرال « سبيرو دونوف » المشرف على ديوان الامن  
 العام ، اذ قال ان صداقة هذين المطرانين « راسبوتين » كانت في نظر القيصرية برهاناً  
 ساطعاً الاحترام الذي خصته به الكنيسة .

فالخطوة النادرة المثال التي احرزها « القروي » في شهر كانون الثاني لسنة ١٩١٦  
 القت الاضطراب في قلوب اعضاء المجمع المقدس ، لان أتباع « راسبوتين » جعلوا  
 يجاهرون بان تقلبات وتبدلات حجة ستحدث في مصاف الكليس العالي ، مؤمئين  
 بذلك الى الانتقام الذي سيتناول جميع ارباب المناصب الدينية الذين ابوا الخضوع « للقروي »  
 الفاسق ، لانهم كانوا يرون فيه مسيحاً دجاً لابل رسول ابليس . فاشياعه كانوا يطوفون  
 خفية وييدهم « جداول طويلة سوداء » باسماء الذين سينتقم منهم اما بعزلهم او بنفيهم  
 الى « سيبيريا » او بغير ذلك من العقوبات . وقد قال آنشد لسفير فرنسا وزير خطير مخلص  
 لوطنه كان « راسبوتين » طلب عزله : « انه لفظيع ما سيحدث ويستعدون له . ولم  
 يسبق قط للمجمع المقدس أن هبط الى مثل هذه الدرجات من الانحطاط . فالخطوة التي  
 يسرون عليها الآن ستؤدي حتماً الى حمل الشعب على عدم الاكتراث للدين ،  
 والى ازالة كل ايمان من قلبه . فإذا يبقى من الكنيسة الارثوذكسية اذا ما ظلت  
 الامور ساثرة على هذا النمط ؟ فان احدق الخطر ذات يوم بالحكم القيصري ، و اراد  
 اولو الامر الاعتماد على الكنيسة ، فلا يجدون شيئاً امامهم . وانا قد بدأت اعتقد أن  
 « راسبوتين » هو المسيح الدجال » .

( يتبع )

إن لوتيروس هو في نظر قسم كبير من البروتستانت ، رجل الله النازل من السماء ،  
بولس الرسول الثاني ومصالح الكنيسة الاكبر . وقد بقي ابناء الاصلاح الجديد  
السنين الطوال ، يقصدون قبر أبيهم ، من أماكن بعيدة ، ويوزرون بعبادة تلك  
الغرفة التي عاش فيها ، فيتبركون بلبس ما ترك من آثار ، ثم يعودون الى بلدانهم  
حاملين معهم قليلاً من الغبار الذي وطئته قدماه ، ذخيرة مقدسة تقيهم من أوجاع  
كثيرة ومن اخطار جمة . ولقد كنا نتمنى ان نزل عند رغبة بعض الاصدقاء ،  
فنأتي على نبذة تاريخية كاملة من حياة لوتيروس ومن عمله الاصلاحية ؛ الا ان هناك  
بعض العقبات لا تسمح لنا بالقيام بهذه المهمة الشاقة في الوقت الحاضر ، فنكتفي  
في هذا المقال بأن نرسم صورة خلقية موجزة للمصلح الكبير ، نستمد ألوانها من  
كتاباته وأقواله نفسها . وجل ما نقصد بذلك ان نوفق الى تبديد الاوهام الخفية  
حوالي ذكرى ذلك الزعيم الديني الشهيد .

### تأه لوتيروس وامراضه العصبية

ولد مرتينوس لوتيروس في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٤٨٣ ، في مدينة  
إيزلبن ( Eisleben ) من مقاطعة الساكس في المانيا . وقد عرف منذ حداثة ،  
بمزاج عصبي قوي ، وبجالة نفسية مريضة ، تتنازع فيها عوامل التشاؤم من الحياة

(\*) المصادر :

Revue des Objections, 15 juin 1921.

Mourret: La Renaissance et la Réforme.

Audin: Histoire de Martin Luther.

Bossuet: Histoire des Variations des Eglises Protestantes.

D. T. C. art. Luther, par J. Paquier.

والياس من الخلاص . وكان يلا نفسه خوف كبير من الشيطان قد ورثه عن والدته ، وخوف من المسيح أيضاً كما يجبرنا عن ذاته فيقول : « كنا نزجف لجرد ذكر المسيح ، وقد كانوا يثبوننا لنا مثل حاكم رهيب ساخط <sup>(١)</sup> » . ولذا يجبرنا عنه تلميذه الحبيب « ملنكتون » انه مرات كثيرة ، بينما كان يلعب ويلهو مع أصدقائه ، كان يتجهم وجهه بقتة ، فيسقط على الحضيض تحوفاً من الشيطان وتروفاً من عدالة الله الذي لا يرحم أحداً ، فيصرخ كالمجنون مرات متعددة « قد حكم عليهم جميعاً بالهلاك ليشفق عليهم جميعاً <sup>(٢)</sup> » .

سنة ١٥٠٥ دخل دير الاغوسطينيين على أثر صاعقة سقطت على مسافة قريبة منه وكادت تذهب بحياته . ويجبرنا هو نفسه أنه لم ينتحل السلك الرهباني عن محبة لله أو رغبة بهذه الدعوة المقدسة ، ولكن ما دفعه الى التهرب انما هي عوامل الخوف والحزن والقلق التي كانت تملأ نفسه . ولذا فإن قلايته الرهبانية الصامتة لم ترده الا اضطراباً ومرارة ويأساً من الخلاص . وبدل ان يتضع في تلك الحال أمام الله ، ويقرّ بوهنه ، ويرتقي بثقة بنوية بين يديه تعالى ، لم يشأ ان يعتمد الا على اعماله الشخصية فيقول لنا : « كنت أضع كل ثقتي لا بالله ، واكن بأعمالي الصالحة ، فكنت احاول ان أتساق السماء عنوة ، ولذا قتلت ذاتي بما مارست من أصوام شاقة واسهار طويلة وصلوات متعبة <sup>(٣)</sup> » . كبرياء جرمانية متأصلة في قلب ذلك الراهب ، والله يقاوم المتكبرين كما يقول الكتاب . ولذلك كل تلك الاصوام والصلوات التي كان يقوم بها لوتيروس لم ترده الا يأساً من الخلاص وابتعاداً عن الله . فيقول لنا : « كنت احسن بنفور وكره نحو المسيح شديد بهذا المقدار ، حتى اني كنت أرتعد هلعاً عندما يقع نظري على صورة ما من صورته ؛ فكنت أفصل ان أرى الشيطان ولا ان أرى المصلوب <sup>(٤)</sup> » . كذلك السيامة الكهنوتية التي تقبلها سنة ١٥٠٧ لم ترده الا حزناً وقلقاً . ويجبرنا مؤرخو حياته أنه اثناء حفلة الرسامة ، حاول أن يبتعد عن

(1) Coll. III, 9. (2) Mélanchton, Vita Lutheri, dans le Corpus Reformatorum, VI, 7 (3) Janssen, II, 71. (4) Janssen, I, 72.

الميكال ويهرب من الكنيسة ، لو لم يسكه رئيسه ، ويرجمه عن عزمه هذا بكلمات مشجعة . وها هو يقول عن نفسه : « ان الارض قد ارتكبت خطأ كبيراً ، لانها لم تبتلغني في تلك الدقيقة (٥) » .

### عقيدته الجبرية

بالرغم من تلك الارادة المتصلبة التي كانت عند لوتيروس ليخلص نفسه وبالرغم من تلك الاعمال التقوية الخارجية التي كان يمارسها ، كان يرى هواجسه ترداد يوماً عن يوم . وخصوصاً كان يئن من تلك الهجمات العنيفة التي يثيرها الجسد ضد الروح ، تجارب قوية ضد العفة لم يقوَ ذلك الراهب المتكبر المعتمد على ذاته ان يتغلب عليها . فراح في خالوته يخطط رسوم عقيدة جديدة تبعث السلام في نفسه القلقة وتكون دستوراً لحياته ، واكمل تباع مذهبه الجديد . عقيدة أملاها عليه بأسه واختباره لضغفه الشخصي ، وهو الذي هُزم في المعركة ، فرمى بسلاحه متيقناً ان النصر مستحيل على الانسان . فالطبيعة البشرية هي بنظر لوتيروس مدفوعة قهراً الى الشر ، لا يمكنها ان تتجنبه . ولذا فالانسان لا يمكنه الا ان يخطأ ، وكل الاعمال التي يأتيها انما هي خطايا ثقيلة . وفي كل الاحوال ان الاعمال الصالحة لا منفعمة منها البتة للخلاص ، بل بعكس ذلك هي مضرّة ، لان الله لا يطلب منا العيشة الصالحة والاعمال التقوية ، بل كل ما يريد انما هو الايمان بالمسيح وباستحقاقات آلامه . وان المسيح هو الذي قد أخذ على نفسه ان يمارس الصلاح عوضاً عنا ؛ فلم نجهد نفوسنا دون جدوى بالسعي وراء الفضيلة ؟ فلنلقِ عنا اذن هذا الهم المضني ، ولا نخف من

(٥) اختلف المؤرخون في تحليل أسباب هذه الهواجس عند لوتيروس فمنهم من نسبها الى مرض عصبي قد ألم به ، كداء النقطة أو علة أخرى . وأكد غيرهم انه كان معترى من الشيطان ، داعين رأجم هذا بذلك الحادث الذي يرويه عنه المؤرخ « كوكليس » ( Cochloeus ) وهو « انه بينما كان الكاهن في احد الايام يتلو في القديس الجبل الرجل المعترى من الشيطان ، واذا بلوتيروس يقع بنفسه على الارض ، كأن قوة غير منظورة قد صدمته ، فيصرخ على مسمع من الجميع : « لست أنا هو ، لست أنا هو » .

ان زخمي العنان لشهوات طبيعتنا الفاسدة ، ومن ان نقدم على كل نوع من الخطايا . فبمقدار ما يزداد عمق هوة خطايانا ، يزداد مجد الله الذي ينشلنا منها . فلنخطأ اذن ولنخطأ كثيراً ! وهذا ما يصرح به لوتيروس دون تردد فيقول : « كن خاطئاً وخطأ كثيراً ، ولكن آمن أكثر ... »<sup>(٦)</sup> . « يجب علينا من حين الى آخر ان نسكر ونلهو ونرتكب بعض خطايا نكاية وهزءا بالشيطان »<sup>(٧)</sup> . ويزيد على ذلك متهللاً : « يا لغنى المسيحي المعتمد ، فهو لا يمكنه ان يفقد خلاصه حتى ولو ارتكب كل نوع من الخطايا . فالخطيئة الوحيدة التي تقضي عليه بالهلاك انما هي ابتعاده عن الايمان »<sup>(٨)</sup> .

### الغلو لوتيروس

لقد سُرَّ لوتيروس كثيراً بتلك العقيدة الجديدة التي اكتشفها ، وكان هو أول من وضعها بالعمل ، فجارى اميال طبيعته الفاسدة ، واستسلم لكل انواع الرذيلة ، حتى عدَّ بين أولئك الرجال الذين تغردوا في التاريخ برذائلهم وسماجة خلقهم .

### سكره

غوية تلك المبادئ . الروحية التي كان يسير عليها المصلح الجديد حياته . فهو يصرح بأنه عندما كان يُجرب بعنف من الشيطان ، فلكي ينتصر على تلك التجارب « كان يكثر من شرب المسكر ، ويلعب ويضحك كثيراً ، واكثر من ذلك يرتكب بعض خطايا ازدراء بالشيطان . وكان يجتهد ان يطرد الافكار الجهنمية بأفكار أخرى ، مثل أن يفكر بالبخل وبالسكر وبالزنى أو أن يدخل في حالة غضب شديد »<sup>(٩)</sup> . ونسعه يعلم في موضع آخر : « إن قال لك الشيطان : لا تكثر من شرب الخمر ، فأجبه بجرأة : سأشرب نكاية بك لانك تمنعني عن ذلك ، وسأشرب اكثر مما في الماضي تقيداً للمسيح » . وكتب سنة ١٥٢١ : « اني أقضي طيلة النهار

(6) Luther, Epist. a Joh. Aurifabro, coll. Jen. 1566, in-4°, t. I, p. 545. (7) Lettres de Luther, éditées par de Wette, IV, III, 188. (8) Luther, Captivité de Babylone. (9) De Wette, IV, 188.

في البطالة وفي السكر<sup>(١٠)</sup> . سنة ١٥٣١ : « ان ذلك الصداع الالم الذي ألم لي بسبب الحمر الممتعة ، لم تشفه حتى الان خمره » ويتبرغ (Wittenberg) فاني أشرب بافراط لكي انكي الشيطان » .

وكتب في محل آخر : « ان كان الله يقدر ان يسامحني لاني عذبتة وصلبته مدة عشرين سنة باقامتي ذبيحة القداس فلا شك انه يسامحني ايضاً ان شربت احياناً بعض الكؤوس على شرفه . وان سمح الله بذلك ، فليقل الناس ما يشاؤون » .

### غضبه ونقطه الى الثورة

« قال لوتيروس ، اني وُلدت للحرب وللثورة ، فلا بد لي من أن اقلع الاشجار مع اصولها<sup>(١١)</sup> » . ولذا خيأته كلها كانت ثورة غضب وحقد على المجتمع وعلى الكنيسة وعلى اعدائه . فالغضب ، كما يقول عن ذاته ، يفيدته كثيراً : « ليس لي صديق ألد علي قلبي من الغضب . فاني عندما اريد ان افكر او أوأف او اصلي او اعظ ، فاني لا استطيع ذلك ان لم اكن في حالة غضب شديد . فالغضب يساعدني على الصلاة ، يشحن ذهني ويطرد عني افكار الشك والقنوط<sup>(١٢)</sup> » . « احبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا اتعلموا مني أنني وديع ومتواضع القلب ا » هذه اللغة السامرية لم يفهمها المصلح الكبير ولذا كان الغضب مجسماً ، فلم يعرف في حياته قط معنى للحب وللشفقة وللحنان . وعندما نطالع كتاباته ، نراها ملامى من المرارة ومن السخرية واللعنات . وهناك كلمة فاه بها في احد الايام ، لا يجرو على التلطف بثلها غير الشيطان : « اني لا اقدر ان اصلي ، والكني اقدر ان ألعن ا » لقد جف قلبه ونضبت منه كل عاطفة صلاة وحنان ، فهو لا يقوى إلا على الغضب واللعنات . وبدل الصلاة الربية الانجيلية ، اليك تلك الصلاة الجهنمية التي كان يتاوها ، وقد سميت « بصلاة لوتيروس الربية » فقد كتب سنة ١٥٣١ :

(10) Lettres de Luther. Enders III, 154. Cristiani, 333.

(11) W. t. XXX b, p. 68.

(12) Walch. XXII, 1237.

« اني لا اقدر ان اصلي ، ولكني اقدر أن العن . فبدل ان اقول « ليتقدس اسمك » ، اقول : ليكن ملعوناً اسم البابويين . وبدل « ليأت ملكوتك » اقول : لتُصبّ اللعنة على البابا ويحكم عليه بالهلاك . . . . وعلى هذا النوع اصلي كل يوم إماماً بالشفاه وإماماً بالقلب (١٣) . »

وليس لنا شاهد اقوى على طباع لوتيروس المحبولة من الغضب وحب الثورة ، من « حرب الفلاحين » ، وقد نفخ فيهم هو روح الثورة على الامراء ، ثم ما لبث ان انقلب عليهم عندما رأهم مهزومين ، محرّضاً على ذبحهم . فكان بكتاباتة وخطبه يشوقهم الى التمتع « بالحرية المسيحية » وعلى التخلص من حكم الامراء ساداتهم ، الذين ليسوا الا « جماعة من السكارى التهمين ؛ فهم احط الناس خلقاً واحق اهل الارض كلها (١٤) » . وقد اضرم نار الثورة فيهم خاصة ضد البابا والاساقفة والاديرة ، فكتب : « ان كنا نقاصُ اللصوص بالمشنقة ، والقتلة بالسيف ، والمراطقة بالنار ، فكيف لا نغسل ايدينا بدم هؤلاء القادة الى الهلاك من كراذلة وباباوات ، تلك الافاعي التي تنسلُ في رومة وفي سدوم ، وتفسد كنيسة الله (١٥) ! » وقد سمع مئات من الالوف نداء لوتيروس هذا ، فثاروا يحرقون الاديرة ويهدمون الكنائس وينهبون قصور الامراء . وكان قائدهم « مونترز » (Muntzer) احد تلاميذ لوتيروس يضع الحمية فيهم ، فيصرخ بهم : « هوذا الوقت السعيد لنطرد هؤلاء الائمة مثل الكلاب . فلا يكن فيكم أدنى شفقة على هؤلاء الكفرة . انهم سيترجونكم ويتذللون امامكم ويبكون لديكم مثل الاطفال ، ولكن اياكم والشفقة . لتضطرم النار ، ولا يبرد الدم على سيوفكم . هوذا اليوم المشهود ؛ الله يسير امامكم فاتبعوه ! فاشتعلت نيران الثورة وسال الدم غزيراً ، حتى ان لوتيروس تخوّف من عواقب عمله ، فراح يحاول ان يطفى تلك الحريقة الهائلة التي اضرمها هو ، ولكن دون جدوى . وبقي منتظراً رجحان كفة النصر ليوالي

(13) Janssen II, 187, L'Allemagne et la Réforme. (14) W.

t. XI. P. 268, I; t. XV, p. 254, 2. (15) Osiander Cent. 161, p. 10.9

الظافرين ؛ فعندما تأكد من هزيمة الفلاحين انقلب عليهم بجيانه كبرى بعد ان كان في بادئ الامر المدافع الاكبر عن حقوقهم المهضومة ، واخذ يجلل الامراء ذبحهم دون شفقة ، فكتب اليهم : « هيا الى السلاح ايها الامراء ، واضربوا واذبحوا ! يا للوقت الثمين فيه يتسنى لكل منكم ان يريح السماء بسفكه الدم باكثر سهولة مما نزعها نحن بالصلاة ! اضربوا ، اذبحوا ، اقتلوا من الامام ومن الوراء ! فليس الوقت وقت النوم ، ووقت الصبر والشفقة ؛ فوقت السيف ليس وقت الرحمة ! ان سقطتم في المعركة فأنتم شهداء امام الله ، اما عدوكم الفلاح المتورد ، فان غلب ، فالما نصيبه جهنم الابدية ، فهو ابن ابليس <sup>(١٦)</sup> ! » وهزم اولئك الفلاحون المساكين سنة ١٥٢٥ امام جيوش الامراء المنظمة . فكان عدد الضحايا يربو على المئة الف ، وقد هُدم خمسون ديورا وأحرقت ثلاث كنائس ، وبادت سبعة مدن عن بكرة ابيها . وقلومات « مونترز » زعيم الثائرين ، وبقي الى آخر رمق يلعن لوتيروس الذي دفعه الى الثورة ، ثم خانه بجيانه كبرى . اما لوتيروس فقد اظهر سرورا كبيرا بهزيمة الفلاحين ، وكان يفاخر « بأنه هو الذي سفك دماءهم بأمر من الله ، ويؤكد بأن كل من سقط في هذه الحرب ، انما هو هالك نفساً وجسماً مما <sup>(١٧)</sup> » . وهذا ما نقر منه كثيراً من معاصريه ، وما اصدق قول المؤرخ « كوكليس » : « لا شك ان مونترز والفلاحين سيصرخون امام الله وملائكته يوم الدينونة الاخيرة : الانتقام من لوتيروس <sup>(١٨)</sup> ! »

كذبه

«ليكن كلامكم نعم نعم، ولا لا» اقال السيد المسيح مؤلف الانجيل القديم .  
 اما لوتيروس مؤلف الانجيل الجديد فقد اخذ شعاراً لحياته الكذب والنفاق والحنث بالوعود . وما تعليم ثوثير الشهير ، ان « اكدبوا ، واكدبوا ايضاً » ا إلا صدى

(16) T. II, op. Luther, fol. 130. (17) Op. Luih. t. 3. Jen. germ. fol. 130, b. (18) Cochl. Defensio ducis Georgii, p. 63, Ingolst. 1545, in-4°.

بعيداً لتعاليم ابيه لوتيروس . فسنة ١٥٢٠ جعل يوهز للاكليريكيين الذين يندرون العفة قبل سيامتهم ، بأن يزيدوا في صورة نذرهم كلمة يقدرونها في اذهانهم ، تبطل مفعول النذر وتحولهم بعد ذلك ملء الحق في الزواج ! وسنة ١٥٣٠ بعث تلميذه ملنكتون بيثله في « جمعية اوغسبورغ » ( Diète d'Augsbourg ) وفيها كانت سؤخذ القرارات الاخيرة بخصوص مذهبه الجديد . وكان دوماً يبعث اليه بالرسائل متتالية ، يعلمه فيها كيف يندع الامبراطور والكاثوليك بالوعود الكاذبة ، ويوصيه ان يتنازل معهم الى آخر حد ممكن . فكتب اليه : « لا تخف من ان تضي كل المعاريض ، وتعد المواعيد الكثيرة ، فعندما نتصر على القوة التي تناوئنا الان ونصل الى السلام ، يمكننا ان نصلح غلطائنا هذه وننقض عهدنا ، فان رحمة الرب تملك علينا » ! وكان قد أزال لوتيروس القديس من مذهبه الجديد ، ولكنه اذ رأى ان مسيحيي بلاد الساكس متعلقون بذبيحة الهياكل الطاهرة ، لم ير من الحكمة ان يبعدهم عنه بتحريمه القديس عليهم . ولكنه اوعز سراً الى كهنته ، ان يهاجروا في قداساتهم كلمات التقديس مع الصلوات السرية التي تسبقها وتلحقها ، فكتب اليهم : « على الكاهن ، ان يتصرف بدربة ، بنوع ان المؤمنين الحاضرين الذبيحة ، يجهلون ذلك التغيير الذي قد طرأ ، وهكذا يحضرون القديس دون ان يتشككوا <sup>(١٩)</sup> » . وعلى هذا النوع كان يندع تلك النفوس المسكينه ، ويدفعها الى ان تعبد قطعة خبز ، لانها كانت تظن انها جسد المسيح !

وكثيراً ما يحاول المتعصبون من كتبة البروتستانت ان يعذبوا أكاذيب لوتيروس هذه مؤولينها بطرق مختلفة . الا ان هنالك اكدوبة فظيمة لم يجدوا سبيلاً الى انكارها ، وهي تلك التي حاول ان يخفي بها المصلح الكبير زواج الامير « فيليب دي هس » ( Philippe de Hesse ) بامرأة ثانية . وها نحن نورد تفاصيل تلك الفعلة الشنعاء ، التي قال عنها المؤرخ البروتستاني « بزولد » ( Bezold ) : « انها البقعة الاشد قتاماً في تاريخ الاصلاح الالماني » . فسنة ١٥٢٦ ، قد طلب الامير

(19) Janssen, L'Allemagne et la Réforme, III. 71, 72.

« فيليب دي هس » من لوتيروس ، ان يسمح له بالاقتران بزوجة ثانية مع زوجته الاولى « كريستين دي ساكس » ( Christine de Saxe ) اما الاسباب التي يقدمها اميرى فعلته هذه ، فهي انه كان يشعر بنفور منها لبشاعتها ولأطباعها الفظة مع انه كان قد اتاه منها سبعة اولاد . ولذا فتخلصاً من تلك الحياة الاثيمة التي يعيشها مع سريته « مرغريت دي سال » ( Marguerite de Saal ) ، يطلب ان يُسمح له بالزواج الشرعي بعشيقتة هذه ، وهكذا يريح ضميره التَّعب ، ويفلت من حبال الشيطان ، ويؤكد خلاص نفسه . « ولذا فاني اطلب من لوتيروس و« بوشر » ( Bucer ) و« ملنكتون » ، ان يسمحوا لي بهذه الزيجة الثانية ، وان يعطوني شهادة خطية يطمنونني بها ان عملي هذا لا يغيظ الله البتة ، وان الزوجة الثانية التي سأقترن بها ، ستكون زوجة شرعية لي مثل الاولى . واني متيقن انهم ان يرضوا عليّ هذه النعمة ، ولاسيا واني علمت بانهم أوعزوا الى ملك انكلترا ، بان لا يطلق الملكة زوجته ، ساعين له بأن يتزوج بامرأة ثانية معها . فليتنازلوا اذن الى تلبية طلبي هذه لأتخلص من الخطايا ، ولأتمكن من ان أعيش واموت مسروراً دفاعاً عن الانجيل . ومن جهتي ان انسى لهم هذا الانعام ، فاني مستعد ان اهبهم كل ما يرغبون ، سواء طلبوا ممتلكات الاديرة او غيرها (٢٠) .

تردد لوتيروس في اول الامر لما سينجم عن هذا السماح من عواقب وخيمة وشك كبير بين المؤمنين . الا انه مخافة ان يخسر مساعدة الامير وحمايته ، وهو المدافع الاكبر عن الاصلاح الجديد ، قد سمح له بالزواج بامرأة ثانية ، و« لكن على شرط ان تبقي هذه الزيجة سرية لا يدري بها غير بعض اشخاص أمناء يحافظون على السر كأنه سر اعتراف » . بيد انه لم يلبث السر ان انكشف ، فتخوَّف لوتيروس واعوانه من الفضيحة ، واخذوا يوعزون الى الامير بأن يكذب وينكر بالتمام زيجته الثانية . فغضب الامير من هذا الاتجا . الى الكذب ، الا ان « بوشر » كتب اليه :

(20) Contrat de Mariage de Philippe Landgrave de Hesse avec Marguerite de Saal, n<sup>os</sup>. 10, 11, 12.

« ان لم تتذرع يوماً بالكذب ، كما نصحتك في الماضي ، فلا شك انك ستصطدم بكثير من الصعوبات . فلا تحف من الكذب اذن لان التوراة نفسها ملأى من امثال هذا الكذب المفيد . » كذلك كان لوتيروس يشجعه على الكذب ، اذ بعث اليه برسالة في ١٥ تموز سنة ١٥٤٠ يقول فيها : « ان « نعماً » يقولها واحد منا في السر تختلف عن تلك « النعم » التي نقولها علناً ، والا فكلمتا سرّ وعلن تكونان مترادفتين . اذن « نعم » في السر يجب ان تكون « لا » علناً . وفي كل الاحوال اي ضرر يتأتى عن كذبة كبيرة نقولها لفائدة الكنيسة المسيحية ؟ صدقني ان الضمير في هذه الحال يكون في راحة تأمة » . واذا بقي الامير متشككاً من هذه المبادئ . اللاهوتية الجديدة التي يعطيه اياها مرشده الروحي ، كتب له لوتيروس ثانية في ١٧ تموز : « انه لأمر يؤسف له ، أن يتردد الامير امام اكذوبة كبيرة . تأكد ان كذبة ضرورية ونافعة للتخلص من مأزق حرج ، لا تغيظ الله البتة ؛ وانا بنفسني احمل مسؤولية هذا العمل . فلا يجب ان يكون عندك أدنى وسواس في ان تكذب بخصوص زوجتك الثانية ، فذلك ضروري لحير المسيحية والعالم كله » . وكان ملنكتون يرفع يديه الى السماء متنهداً لدى سماعه أكاذيب معلمه هذه . الا ان لوتيروس كان يهزأ من نخافة ضميره ورقة شعوره ، فيقول له : « اما انا ، فاني فلاح غليظ ، وجلد نفسي قاسٍ وخشن ، ولذا لا تؤثر في مثل هذا الامور التافهة <sup>(٢١)</sup> » .

فا اصدق الدوك « جورج دي ساكس » ( Georges de Saxe ) عندما كتب سنة ١٥٢٩ : « ان لوتيروس هو اكبر كذاب عرفناه حتى اليوم ، فان هذا الراهب الجاحد يكذب في وجوهنا ، كأنه احد قطاع الطريق الاشقياء السفلة <sup>(٢٢)</sup> » .

### سماحه واقواله عن المرأة

من طابع مؤلفات لوتيروس ، يراها مشحونة بالكلام البذيء السمج الذي

(21) Janssen, III, 136, note.

(22) Janssen, III, 483.

يجمع رعا القوم عن التلفظ بمثله . وإننا لنستميح القارى . الكريم عذراً اذا اتينا ببعض امثلة على تلك الساجات . فقد كتب عن لاهوتي جامعة « لوفان » ( Louvain ) : « ان لاهوتي « لوفان » ليسوا الاحميراً دعة ، خنازير ملعونة ، دجّالين خبثاء ، بطوناً ملائ من التجاديف ، اصوصاً يلهبهم العطش الى الدم ، مستنقعات نقتة ، طبخة جهنم الملعونة » ا اما جامعة « السربون » ( La Sorbonne ) في باريس ، فهي « كنيس الشيطان ، وقد ألم بها البرص الابيض من قرة رأسها الى أنخص قدميها . انها أجز عاهرة علمية ، ظهرت حتى الآن تحت الشمس ، هي باب جهنم <sup>(٢٢)</sup> » . كذلك كل المعلمين في الجامعات الكاثوليكية انما هم « العربة بيد الشيطان يتسلى بها ، حير ناصحة ، وتلك القبعات السمير والحرا التي يلبسونها ليست الا أطواقاً من الذهب والخواهر تحيط برقبة خنزير مستن » ا

وما عسانا نقول عن عهده وفسقه وعن اقواله عن المرأة التي قد حطها الى درجة من الذل تنفر منها الوثنية نفسها ، فانه لم ير فيها الا « بقرة تصلح للولادة » . فالمرأة ، كما كان يعلم في عظاته ، مخلوقة إما للزواج وإما للفسق ؛ فلا يكتفها البتة ان تحافظ على عفتها . ولذا لا شك بأن فتاة تتعاطى الفحشاء في البيوت المشاعة هي اكرم في عين الله من الراهبة التي تعيش في البتولية في ديرها . كذلك لا شك بأن امرأة حملت من زنى يحق لها ان تفاخر بحملها هذا لانها قد اتت شريعة الله القائل « انمو واكثروا . . . » هذه التعاليم التي يسميها لوتيروس « الخيلية » ليست الا خلاصة عظته الشهيرة على الزواج التي لم يطاوعنا القلم على ان نترجمها برمتها لما تتضمن من تعاليم كفرية قذرة . واليك ما يقول المؤرخ « أودان » ( Audin ) عن هذه العظة : « هوذا الخطاب الذي القاها لوتيروس باللغة العامية في كنيسة « ويتنبارغ » ( Wittenberg ) الكهري ، امام صورة المسيح التي كانت قائمة بعد على الهيكل ، وامام تماثيل القديسين المحطمة حوالي الخورس ، وامام قبور الاساقفة والكهنة والمؤمنين الراقدين لاجل

الايان ، وعلى مسمع من الامهات والقتيات ، من الازواج والزوجات ، من الشيوخ والاحداث ، الذين كانوا يتراكمون لسماع صوت راعيهم ! تلك هي الكلمات التي كان يخاطب بها قطيعه ذلك الراعي المسلمة اليه تلك النفوس ، ذلك الرجل النازل من السماء ، ذاك الكاهن ، ذلك الرسول بولس الثاني ! والكنيسة بقيت ملائى ! أيمكنا ان نصدق انه لم يرتفع ادنى صوت من تلك الجموع ليفهم الخطيب ؟ الم تمسك الام بيدها لتذهب بها عاجلاً خارج الكنيسة ؟ الم يوجد بين السامعين احد الموظفين المدنيين ، ينهال بالسياط على ذلك النذل الذي يتاجر بالكلام السفه والذمى يحول بيت الصلاة المقدس الى بيت فحشاء وخبور ؟ . . . أياقونا بكاهن واحد تجاسر ، قبل الاصلاح ، ان يرسم في منبر الوعظ مثل هذه الصور الشائنة (٢٤) . . . »

\*\*\*

في ليلة من ليالي الربيع المقمرة ، كما تحبونا احدى القصص ، وكانت النجوم منشورة على صفيحة السماء الصافية كهقد من اللآلى. قد انفرط ، واذا « بكاترين دي بورا » ( Catherine de Bora ) الراهبة البارحة والزوجة اليوم ، جمعت تقول لزوجها لوتيروس : « انظر السماء ما أجملها ! رفع لوتيروس عينيه الى العلاء وقال بتنهدي عميق : نعم إن السماء جميلة واكبتها ليست لنا - فأجابت كاترين آه ، وما ذنبنا حتى نُحرم الى الابد من الملكوت السماوي ؟ - اهل ذنبنا هو اننا تركنا دينا ! - فأجابت كاترين : اذن يجب ان نعود الى الدير ! - فتمتم لوتيروس بمرارة كبرى وبيأس عميق : آه لقد فات الوقت وتوحدت المركبة كثيراً (٢٥) . . . »

لوتيروس يوسف راغر المخلصي

## صفة فعال

بفهم الاستاذ جبرانه النحاس

كان لإمامنا الشيخ ابراهيم اليازجي شغف بالبحث في مفردات اللغة يتوسم صورها وما اكتسبته معانيها من تقاطيع الصيغ وما خازمها من مخارج الحروف . وادباؤنا في هذه الايام يقيمون عيداً لمرور مئة سنة على مولده . فرأيت ان يكون نصيبي من هذه الذكرى ان اقتنفي في البحث اثر خطاه . فان تعددني الضعف دون مداه ، فان لي في القصور عذراً . والأفحسي اني توخيت من وراء الغيب رضا . فاقول :

كثيراً ما ترى في ايام المتحدث ونبرات صوته واساير وجهه ما يجاري معانيه في الدلالة على الانبساط والغضب والخزع والسكون وما اشبهه . وكذلك تجد من الصيغ العربية في قصرها ومطها وحركاتها وجرس حروفها من المشاركة في معانيها . وليس ذلك مقصوراً على ما اثبتوه في ابواب الاشتقاق بل تعداه الى غيره . ولعل الكثير مما يحملونه على الشذوذ تراه ، اذا تدبرته من بعض الوجوه ، غير خارج عن القياس .

من ذلك مثلاً كلمات جاءت على فعال بالضم عدوها من شواذ الجمع . ولعل فيها نظراً يُصيها عن الشذوذ . ولذا تضاربت آراؤهم في عددها وفي تسميتها جموعاً او اسماء جمع .

\*\*\*

قال ابن خالويه : « ليس في كلام العرب شيء جمع على فعال إلا نحو عشرة احرف » . وذكر تسعة وهي : عراق ، ورُخال ، ورُبَاب ، وتُوَام ، وفُوَار ، ونُذال ، ورُذال ، ونُناء ، وبُساط .

وقد عدها غيره بثمانية ونظمها في قوله :

ما سمعنا كلاً غير ثمانٍ هي جمع وهي في الوزن فعال

فُرْبَابٌ ، وفُرَارٌ ، وتَوَامٌ ، وعُرَامٌ ، وعُرَاقٌ ، ورُخَالٌ ،  
وَطَوَارٌ ، جمع ظئر ، وبُساطٌ ، جمع بُسطٍ ، هكذا في ما يقال .

\*\*\*

وقال ابن الأعرابي في شرح المفضليات ( ص ٢٦٦ ) : « لم يأت جمع على  
فُعال إلا ستة احرف ، قولهم : فرير وفُرار ، وِرِخِل وِرُخَال ، وِظِر وِطَوَار ، وِرَبِي  
ورُبَاب ، وتَوَامٌ وتَوَامٌ ، وعَرَق وعُرَاق » اه .  
ومما يُتنبه له ان مفرداتها ليست على بناء واحد .

وقال ابن قتيبة في باب فُعال وفَعِيل من أدب الكاتب : « قال الفراء :  
الفرار ولد البقرة الوحشية يقال له فرير وفُرار . وكان غيره يزعم أن فراراً جمع  
فرير . قال ابو عبيدة لم يأت على فُعال شيء من الجمع إلا أحرف هذا احدها .  
قال ومنها تَوَامٌ وتَوَامٌ . وشاه رُبِي وغنم رُبَاب ، وِظِر وِطَوَار ، وعَرَق وعُرَاق ،  
وِرِخِل وِرُخَال ، وِقِرير وفُرار . قال ولا نظير لهذه الاحرف » اه .

وفي حرف (عرق) من اللسان (ص ١١٥) نقل ابن منظور عن ابن السكيت  
الاحرف الستة هذه وقوله لا نظير لها . ثم اورد ستة احرف اخرى عن ابن بري  
هي : رُذَالٌ ، وُذَالٌ ، وبُساطٌ ، وِثْنَاءٌ ، وِظْهَارٌ ، وِبُرَاءٌ . وقال « فصارت الجملة  
اثني عشر حرفاً » اه .

\*\*\*

وفي شرح الدرّة زاد الخفاجي الفاظاً ، منها : أَناسٌ ، وِطَوَالٌ ، وِطَبَاءٌ ،  
وِكِبَابٌ ، ورُعَاءٌ ، ومُلاءٌ ، ومُفْهَاشٌ ، وسُبَاحٌ ، وسُجَاحٌ ، ولُهَاشٌ ، حتى اوصلها  
الى ثلاثة وعشرين .

ولو تقصينا هذا المعنى في اسفار اللغة لأتينا غير ما تقدم ، مما يفيد الكثرة  
وهو على فُعال .

\*\*\*

وليس اختلافهم في عددها دون اختلافهم في جعلها جموع تكسير او اتمام جمع .  
قال الزمخشري انها ليست تكسيراً . وعبارته في المفصل : « يقع الاسم على

الجمع لم يكسر عليه واحده . وذلك نحو ركب ، وسفر ، وأدم ، وعمد ، وحلق ، وخدم ، وجامل ، وباقر ، وسراة ، وفُرْهَة ، وضأن ، وغزِي ، وتوأم ، ورُخال « اه .

فعدَّ بين اسماء الجمع ما كان فعلاً بالضم نحو توأم ورُخال ولم يخالفه ابن يعيش . وقد اوضح ذلك في الكشاف ( ١ / ٥١٦ ) عند تفسير قوله : « فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلُّ أناسٍ مشربهم » قال : « والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رُخال وتُناء وتوأم واخوات لها . ويجوز أن يُقال إن الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدأت في نحو سُكاري وغُياري من الفتحة » اه .

وقد تعقَّبهُ ابو خيَّان الاندلسي في البحر المحيط ( ٦ / ٦٠٨ ) فلم ينكر قوله انها اسماء جمع بل ايده . وانما انكر اشارته الى احتمال كونها تكسيراً . وعبارته بعد ان اورد كلام الزمخشري : « لا يجوز ما قال [ اي احتمال ان الاصل الكسر والتكسير ] لوجهين احدهما انه لم يُنطق بأناس بكسر الهمزة فيكون جمع تكسير حتى تكون الضمة بدلاً من الكسرة بخلاف سُكاري وغُياري » . وملخص الوجه الثاني ان مثل سكارى وغيارى في قول سيويه جمع . وفي قول المبرد اسم جمع . ففي كلا القولين ليست ضمتهما بدلاً من الكسرة « اه .

\*\*\*

اما سيويه ففي تكسير ما عدَّة حروفه اربعة يقول : ( ٢ / ١٩٦ ) « قالوا رُبِّي ورُبَاب . حذفوا الألفِ وبتوه هذا البناء . كما ألقوا الهاء من جُفرة فقالوا جِفَار . إلا أنهم قد ضموا اولِ ذَا كما قالوا ظنرَ وظَوَّارَ وِرْخَلَ ورُخَالَ . ولم يكسروا اوله كما قالوا بئارَ وقِداحَ » اه .

وهذا القول قد يؤخذ منه ان سيويه يعدُّ فعلاً بالضم تكسيراً لفعل بالكسر فالسكون ، وهو ما ينقلونه . غير انه في كلامه على تكسير فعل ( ٢ / ١٧٩ ) ذكر فعلاً بالكسر دون الضم . فصار كلامه الاول وفاق ما قاله الزمخشري في الكشاف . ولا سيما ان سيويه قال ايضاً في باب الاضافة الى الجمع ( ٢ / ٨٩ ) : « تقول

في الاضافة الى نَفَرٍ نَفْرِي ، ورَهَطٍ رَهْطِي ، لان نَفَرٍ بمنزلة حَجَرٍ لم يَكْسِرْ له واحد وان كان فيه معنى الجمع . . . وتقول في الاضافة الى أناس أناسي لانه لم يَكْسِرْ له انسان فصار بمنزلة نَفَرٍ « اه .

فقد نصّ هنا على أناس ، وهي فُعال ، أنها اسم جمع بمنزلة نَفَرٍ ورَهْطٍ ولو جاز ان تكون تكسيراً لما تعدد ان يجعل إنساً مفرداً لها دون احتياج الى ما اصاب به رُبِّي من البتر .

\*\*\*

وقال الحريري في ددة النواص : « وقد جمع رِخْل على رُخَال بضم الراء وهو مما جُمع على غير القياس » اه .

وتعقبه الخفاجي بقوله : « المعروف في صيغ الجمع فِعال بكسر الفاء . واما بضمها فعلى غير القياس كما ذكر لانه [ اي فُعالاً ] من ابنية المصادر والمفردات كنباح وصرّاح . واذا استعمل بمعنى الجمع اختلف فيه فقيل : هو اسم جمع لا جمع . وقيل انه جمع اصلي ولكن الاصل فيه الكسر . والضم فيه بدل من الكسر . » اه .

\*\*\*

فقد نص الخفاجي وغيره على اختلافهم وليس ثم في الحقيقة اختلاف لا تفاهم على ان المعنى يفيد الكثرة ، وانما تضاربت الآراء في تسميته جمعاً او اسماً للجمع . وعلة ذلك ما في العربية وخصائص صيغها من الاشارة الى الاغراض المقصودة فتري اللفظة تؤدي الى المعنى من سبيلين : مجرد احرفها لأصل المعنى ، وصيغها والزوائد لشكله وزمانه وكيفية حدوثه .

\*\*\*

في المصادر : ولذا كانت الصيغة الواحدة تشمل صوراً متجانسة من موارد مختلفة ، ومعانٍ متباينة . من ذلك صيغة فُعال بالضم . قالوا انها في المصادر للاصوات كالدعاء والصرّاح . والأدواء كالزكام والصداع .  
في الاسماء : وانها في الاسماء لما كان محطماً كالدقائق والجذاذ .

( يتبع )

# ابو العلاء في بغداد

مرحلة فاصلة في حياة فيلسوف المعرفة

للاستاذ فدري قلعجي

كانت لابي العلاء المعري ثروة ضئيلة تقوم بحاجاته ، قال المؤرخون انها ثلاثون ديناراً في السنة يغلها عليه وقف لاسرته ، وقد خصص نصفها لحادمه القائم على اموره واكتفى هو بخمسة عشر ديناراً يعيش بها عيش الكفاف . وقال هو في رسالة كتبها فيما بعد الى داعي الدعاة جواباً على سؤاله اياه عن زهده في لحم الحيوان : « وما حشني على ترك أكل الحيوان ، أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً ، فاذا أخذ خادمي بعض ما يجب بقي ما لا يعجب ، فاقتصرت على فول مُلْسِن وما لا يعذب على الالسن . . . »

ومن الواضح ان هذا المقدار الضئيل من المال لم يكن كافياً لتأمين الحاجات الضرورية للانسان . ويقول الذهبي ان صاحب حلب قد تعرض لما في يد ابي العلاء من الوقف الضئيل ، فسافر الى بغداد شاكياً متظلاً ، لكن اكثر الناقدین المعاصرين يشكون في ان يكون ضياع هذا الوقف من اسباب رحيله الى بغداد ، لاسيا وان امير حلب كان خاضعاً يومذاك للفاطميين فكان من الاصح ان يتوجه بشكواه الى مصر لا الى العراق ، وهم يرجحون انه ضاق بجياة الحمول والفقير في المعرفة ، ويرم بتتابع الفتن التي تعصف ببيلاده ، وطمح الى الشهرة وخفض العيش في بلد كبغداد هي يومذاك موطن الادب والعلم . . .

وما لا شك فيه انه ارتحل الى عاصمة العباسيين لينافس ائمة المعرفة في عصره ، ويبلغ المكانة التي يستحقها في المجتمع ، يحدوه الى ذلك طموح عارم تؤيده الثقة الراسخة بالنفس ولا يزيدده فقد بصره الا توثباً واندفاعاً وتحدياً للصعاب كيا يفوز بحقه في الحياة بل كيا ينتزع هذا الحق من بين برائنها انتزاعاً :

يهم الليالي بعض ما انا مضمر . ويثقل رضوى دون ما انا حامل  
واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل  
ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على اني بين السماكين نازل  
لدى وطن يشتاقه كل سيد ويقصر عن ادراكه المتناول

وصل ابو العلاء الى بغداد في اوائل سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بعد ان لاقى في الطريق اليها اهوالاً حمة . وكانت بغداد ، كما وصفها المعري ، مجتمع اهل الجدل وموطن بقية السلطان فلا يكاد يؤمها ذو شهرة حتى يخف الادباء والعلماء للتعرف به واختبار معرفته . وكان خال ابي العلاء ، ابو طاهر ، قد كتب الى اصدقائه في عاصمة الرشيد يوصيهم بابن اخته ، فاحيط ابو العلاء منذ قدم بغداد بصنوف الرعاية وأفرد بحسن المعاملة ، كما قال ، وأكرم دون النظراء . . .

ولكن اقامة ابي العلاء في بغداد لم تطل اكثر من عام وبعض عام ، رغم ما لقي من احتفاء اهل العلم به وربما لهذه الحفاوة نفسها ! وقد رأينا انه غادر المعرفة طلباً للشهرة والثروة والحياة الآمنة التي حرماها في بلده لاضطراب الحياة السياسية فيه . وقد ظفر في بغداد بالشهرة التي يريد ، لكنه لم يظفر بالامنيتين الاخرين . فاما الثروة فلم يكن له ان يظفر بها وهو الحبي الابي الكوريم الخلق الذي لم يداهن ولم ينافق ولم يدح وزيراً أو أميراً . وأما الاستقرار السياسي فان حال العراق في هذا الشأن لم تكن خيراً من حال الشام .

وثمة عامل آخر لعله اقوى العوامل التي حملت المعري على مغادرة بغداد ، وهو حسد بعض الادباء والنحاة والفقهاء اياه ، ومحاولتهم النيل منه . وقد روى الذين ترجوا لابي العلاء عدة حوادث مؤلمة وقعت له في بغداد ، منها انه استأذن يوماً في الدخول على ابي الحسن الربيعي النحوي فقال هذا : ليصعد الاصطبل ! يريد الاعمى ، فأبى المعري حينئذ الدخول عليه او العودة الى مجلسه . ويقول ابن الانباري في الحديث عن علي الربيعي شيخ النحاة في ذلك العهد : « . . . ويحكى من سيره وتصرفاته ما طيه احسن من نشره . . . » !

اما الفقهاء . فان ابا العلاء هو الذي جابههم بما ينفروهم منه ويشيروهم عليه . قال الحافظ عماد الدين ابو الفداء : « ان ابا العلاء لما قدم بغداد اشتهر عنه انه اورد إشكالاً على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار ونظم في ذلك شعراً :

تناقض مالنا الا السكوت له وان نعوذ بمولانا من النار  
يد بجمس مئين عسجداً فُديت ما بالها قطعت في ربع دينار

ولما قال ذلك واشتهر عنه ، تطلبه الفقهاء . فهرب منهم .»

على انه لا ريب في ان اعظم ما حدث له في بغداد واخرجه عنها قصته مع الشريف المرتضى . فقد رووا انه حضر مجلس الشريف يوماً ، فجرى ذكر المثني فتنقسه المرتضى ، وجعل يتبع عيوبه لبغضه اياه وتعصبه عليه ، وكان ابو العلاء يحبه ويتعصب له ويرى انه اشعر المحدثين ، فقال : لو لم يكن للمثني الا قوله « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه . فغضب المرتضى وامر باخراجه . قال المؤرخون : فسحب برجله حتى أخرج . ثم التفت المرتضى الى من بحضرته ، وقال لهم : أتدرون اي شي اراد الاعمى بذكر هذه القصيدة مع ان لاي الطيب ما هو اجد منها ؟ فقالوا : التقيب السيد اعرف . قال : اراد قوله فيها :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

هذه حادثة رواها الرواة لا لقيمتها التاريخية وما قد يكون لها من اثر في نفس ابي العلاء ، بل لما فيها من نكتة ادبية وما فيها من الدلالة على ذكائه ، وقد يكون هناك حوادث كثيرة من هذا القبيل لم يرووها لنا او لم يتصل بها عنهم ، فنحن لا نكاد نعرف من سيرة حياته هناك شيئاً ، وهو لم يرو هذه السيرة ولكنه عبر عن سخطه على بغداد وما ساوره من الم شديد فيها ، ولا بد لذلك السخط وهذا الالم من اسباب .

ولا شك في ان حادثة المرتضى قد تركت في نفس ابي العلاء اثراً شيئاً كان يتعاضم خطره في رأيه كلما فكر بالفارق الاجتماعي الذي يفصله عن المرتضى . فهو فقير ضعيف مكفوف البصر غريب البلد، والمرضى سيد عظيم الشأن، تسامي اسرته

اسرة الخليفة وتضاهيها في السلطان . وقد كان ابو الرضي والمرضى ، الشريف التقيب ابو احمد الحسيني يتولى ببغداد نقابة الطالبين والنظر في المظالم والحج بالناس ، وكان ابو العلاء قد تعرف به واثنى عليه لما رأى فيه من مكارم الاخلاق ، وكان الشعراء يعرضون قصائدهم عليه وعلى ولديه ويتقربون بها اليهم . ولكن الظاهر ان المرضى لم يكن على خلق ابيه واخيه ، بل كان ذا كبرياء وعنفوان لا يتورع عن الاستهانة باقدار الناس ولا سيما بالضعفاء منهم . روى الصفيدي انه كان جالساً في عليه له تشرف على الطريق ، فر تحته الغيث ابن المطرزي الشاعر ؛ يجر نعلأ بالية وهي تشير الغبار ، فأمر باحضاره ، فلما حضر قال : انشدني ابياتك التي تقول فيها :  
 اذا لم تبلفني اليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت عسبا  
 فأنشده اياها ، فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية ، وقال له : أهذه كانت من ركائبك ؟ فأطرق الشاعر ثم قال له : لما عادت هبات سيدنا الشريف . أيده الله الى مثل قوله :

وخذ النوم من جفوني فأني قد خلعت الكرى على العساق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل .

ويبدو ان أبا العلاء قد أنكر في الرجل هذا الخلق واوجده عليه ، فتعريضه به ظاهر في هذه القصة التي رواها اكثر من ترجوا لابي العلاء ، ويبدو ان المرضى كان ينتظر بدوره مثل هذه الساحة ليندد بأبي العلاء . وينال من كرامته وابائه اللذين لم يعرف لهما مثيلاً فيمن يختلف الى قصره من الادباء .

ومما لا شك فيه ان هذه الحادثة المؤلمة قد تركت في نفس ابي العلاء اثرأ لم يفارقه ابداً ، ولعله من اقوى ، ان لم نقل اقوى العوامل التي حملته على مفارقة بغداد وطالب العزلة في بيته بالمرة . فهي قد اشعرته شعوراً جارحاً مهيناً ، بقيمته الحقيقية في مجتمع الاسياد والعبيد ، مجتمع الاغنياء والفقراء الذي يعيش فيه ، فأيقن ان لا مكان له في بغداد او ليس له فيها المكان الذي يريد ويستحق .

وقد روى ياقوت ان المعري دخل يوماً على الشريف المرضى فعثر برجل في فناء

الدار ، فقال الرجل : من هذا الكلب ! فأجاب ابو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ! تلك هي عقلية ابي العلاء التي ترى قيمة الرجل في معرفته لا في غناه المادي ولا في تركيبه الجسماني ، وبهذه الروح المثلى قدم الى بغداد لينظر رجال الادب والعلم مناظرة الند للند ، فاذا هو يعامل معاملة العبيد لانه خالف سيداً في رأيه ! ومن يدري ، لعله وهو يُجر الى فناء الدار كما تجر الكلاب الموبوءة ذكر ذلك الرجل الذي عثر به هناك وسماه كلباً ، فعرف مدى الهوة بين العالم الذي يتصوره والعالم الذي يعيش فيه ، وأخذ يخاطب الدنيا بقوله المفجع :

فيا دار الخسار الى خلاص فأذهب في الجنوب أو الشمال  
وظلم أن احاول فيك رجياً ولم أخرج اليك برأس مال

وقال السيد عبد العزيز الراجكوتي ، وقد عرض هذين البيتين لابي العلاء :  
وأصحاب الشريف ولا تساور كأصحاب ابن زرعة وابن سمح

...

فأميرهم نال الامارة بالخنا وتقيهم بصلاته متصيد

ان رواية سر العالمين المنحول للغزالي تروي «وتقيهم» مكان «واميرهم»، وعلق السيد الراجكوتي على هذه الرواية بقوله : «فان صححت فهل أراد بها الشريف النقيب أبا القاسم المرتضى ؟» ثم استبعد ذلك لان أبا العلاء في رأيه يربأ بنفسه أن يهبوا أحداً . . . ولكن السيد الراجكوتي يرجح ان جميع الابيات التي قالها المعري يومذاك في الحنين الى الشام ، انما قيلت بعد تلك الحادثة المشؤومة في مجلس المرتضى .

نهد أبو العلاء الى بغداد وفي نفسه آمال جسام ، وطموح الى منزل بين السماكين ، وفخر بأن كل يوم من أيامه ينافس اليوم الذي سبقه ويعاود عليه . . . لقد نهد اليها وهو يردد :

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

وها هو يهيم بالرحيل عنها وقد تداعت آماله ولم يبق له الا غزاء واحد هو أن وجهه

لم يبتذل فيها بالسؤال .

وقد فقد خلال اقامته في بغداد ثروة لا ندرى اهي الوقف الذي تحدث الذهبي عنه ام هي مال ادخره خلال اقامته في المعرة لكي ينقده في بغداد ، ثم تناهى اليه ان امه مريضة مشرفة على الموت ، فصح عزمه على الرحيل الى بلده :

اثارني عنكما امران : والدة لم ألقها ، وثراء عاد مسفوتا

والارجح ان الثراء الذي اشار اليه في هذا البيت هو ما حمله معه من المال ليستعين به على شؤونه وهو في بغداد، وقد نفذ هذا المال فعانى في غربته من احوال البؤس فوق ما عانى من الاخفاق والاهانة ، ما جعله يتسنى لو يفقد صوابه :

فأذهل اني بالعراق على شفا رذي الاماني ، لا انيس ولا مال

مقل من الأهلين . يسر وأسرة ، كفى حزناً : بين مُشيت وإقلال

\*\*\*

ارتحل أبو العلاء عن بغداد بعد أن اقام فيها سنة وتسعة أشهر . وهو يحدثنا في رسالة كتبها الى خاله ابي القاسم ، أنه سلك في هذه الرحلة طريق الموصل فلاقى فيها عنتاً ثقيلاً ونصباً طويلاً ، وأن أهل بغداد لم يسمعوا بعزمه على الرحيل حتى اقبلوا يرغبونه في البقاء ويعدونهم بما يشاء من الوان النعيم . ولكن نفسه كانت قد انصرفت عن هذا كله ، فسافر حزين القلب ، متألماً ، برغمه ، على مفارقة بغداد التي شاهد فيها أنفوس مكان لم يسهف الزمان بأقامته فيه كما كتب الى اهل المعرة ، والتي كان يود لو استطاع الاقامة فيها مدى الحياة كما قال في رسالة الى خاله ابي القاسم : « فاذا الضارية أحجاً بعراقها ، والامة أنجل بضرتها ، والعبد أشح بكراعه ، والغراب أضن بتمرتته ، ووجدت العلم ببغداد أكثر من الحصى عند حجرة العقبة ، وأرخص من الصيغاني بالجابرة ، وأمکن من الماء بمخضارة ، وأقرب من الجريدة باليامة ، ولكن على خير مانع ودون كل درة خرساء موحية أو خضراء طامية . . . » وانه افى الطريق الى المعرة اذا بنياً يعني اليه امه فيتجدد حزنه وترداد لوعته ، وتتكاثف الظلمات المحدقة به ، فلا يستطيع بعد ذلك حمد الله الا بمزوجاً بالدمع ، ويريد الصلاة على النبي فيثقل بها لسان ، كما جاء في رسالته الى خالد ابي القاسم . .

\*\*\*

خلف أبو العلاء مغاني بغداد وراؤه وكأنها أصبحت في خياله أطلالاً دواثر . . لقد أبغض رياضها المعطار وحدائقها الغناء وأحب بسببها القفر وان كان مأوى وحوش معتسة واصوص لا بيوت لهم سوى سيوفهم . . وان كانت بغداد لا تزال تسأل عنه فهو انما يسأل عن المعرفة، فإن شوقه الى وطنه ليلح عليه فيُجئُ لهُ كلما جُنَّ الليل، ويزداد قلبه خفوقاً كلما خفق السراب . وان ماء بلاده الذي يتجمع من الامطار لانجع مشرباً لديه من ماء الكروخ العذب الفرات . . على أن صورة واحدة من صور بغداد لا تزال ماثلة في ذهنه لا تبرح ولا تريم ، هي صورة اولئك الذين يتبأرون فيها سدرة المجد بغير فضل ولا حق ، وهي صورة شائثيه ممن حسدوه ونفسوا عليه ما أصاب من شهرة لامعة ومرکز رفيع، ولكن أليس من دواعي فخره انه اصبح محسوداً منهم على بعد انصاره وقلة ماله . . ؟ الا ان القفر لا يزي به ولا يغض من قدره ، وهل السيف حده القاطع ام غمده وحمائله ؟ لقد نبهوه كما ينبج الكلب ضوء القمر . . ولينبحوا عمرهم ، فلن ينالوا من رجل ليس خفق الريح الأثنا عليه، ولن يستطيعوا محو ذكره الا اذا استطاعوا محو الشمس وقد ملاً نورها الآفاق . ليدرهم وشأنهم ، وليذر الناس جميعاً يتخبطون في لجة من الضلال ، فاهو بفقير اليهم بل هم اليه فقراء . . وانه لاحب اليه منهم هذه الناقة التي تنخر به عباب الصحراء، والتي تغذ السير الى وطنها وكان لها من شدة الشوق جناحين ومن الطرب هديلاً، وكان الصبا قد الت اليها عنانها فهي لا تفرغ في جريها سرباً او تروع وحشاً بل لا تكاد الارض تحس منها بوطة قدم . .

عانق ابو العلاء جيد ناقته واطلق لها ولخياله العنان ، فراح تشرق لجة الليل وراحت افكاره تحلق وتروود في الفضاء . الا ليت هذه الناقة تسير به في الزمن كما تسير به في ارجاء الارض ، اذن لاكتشف سر هذا الدهر وعرف خباياه ! ولكن ما للناقة قد اجفلت ؟ ترى اعرض لها برق في الافق فروعها ؟ مدَّ ابو العلاء يده وغطى بكفه عيني الناقة بحب وعطف كي لا تشهد البرق ثانية فتضطرب له ، وعانتها من جديد فما كادت تحس انفاسه على عنقها حتى امعنت في الجري كأنها تود لو تطير فهل ألمَّ بها الخيال

الذي يطيف به؟ فكأنها تشاركه شعوره او كأنها تحفز فيه هذا الشعور الملح من الحنين، فيذكر كيف حملته الاقدار الى بغداد فنسي وطنه فيها ولم يذكره الا عندما اخرجته الاقدار منها . . . ويشعر بوحده في هذا القفر فيود لو يبصر ليتخذ من القمر سيراً اذا كان القمر في كبد السماء ، ويذكره القمر بحبيب له فيتصوره باكباً لبعده عنه . . ثم تتراخي يده من النعاس على عنق الناقه وقد احس كأنه يطير على جناح غمامة بعيداً عن هموم الناس . . .

\*\*\*

صح عزم ابي العلاء على اعتزال الناس بعد المصائب التي تزلت به . . رأى ، وهو الصادق الطاهر العاقل ، « انه لا يستطيع ان يحيا حياة الشعراء المتكسبين بالادب ، او حياة الفقهاء المتكسبين بالدين . ورأى ، وهو الضريد الضعيف الحي ، انه لا يستطيع ان يحيا حياة الفلاسفة والسياسيين المناضلين في مجتمع الناس من اجل مجتمع افضل ، والمتعرضين في سبيل ذلك الى غضب السلطان ومناوأة الكبراء والعظام . ورأى بعد ان تعرف الى بغداد وقرأ في مكاتبها ، وحضر مجالسها ومناظراتها ، واشترك في مجامعها العلمية ومحافلها الادبية ، ولاتى فيها اهل الجدل وعلماء المذاهب من البغداديين وجالية الاسلامية ، ان نفسه لن تسكن الى ملابسة الحياة الاجتماعية في المعرة المفتقرة الى العلم الذي هو بحاجة اليه والى العلماء الذين يقدرونه يحسنون عشرته ، فأثر ان يعيش بقية عمره رهين المحسبين : عماء الذي حجب العالم عنه ، ومثله الذي احتجب فيه عن العالم .

وقد كتب الى اهل المعرة رسالة اخبرهم فيها بعزمه على العزلة ، ونهاهم عن زيارته مخافة ان يؤم بيته واحد منهم فيمتنع عن مقابلته ، فيجمع بذلك بين سوء الادب وسوء القطيعة . وقد اكد في هذه الرسالة انه لم ينشد العزلة الا لانه ، وقد جوب خير الدهر وشره ، وجد ان اوفق ما يصنعه في ايام الحياة الاعتزال : « عزلة تجعلني من الناس كبراح الأروى من سائح النعام » . ويقول في كتاب « العضول والغايات » : « طفت في الآفاق فاذا الدنيا نفاق ، ومللت من مداراة العالم بما يضر غير الفؤاد ، فاخترت الوحدة على جليس السوء » ويقول ايضاً في غير مكان من هذا الكتاب : « اذا اصبح النصح ثقيلًا ، والمساجد قالا وقيلًا ، وصارت الامارة غلاباً والتجارة خلاباً ، فالبيت المحفور ومجاورة الغور خير لك من مشيدات القصور » .

لكن أتى له ان يبلغ من العزلة ما يريد ، وهو منذ نذر نفسه للادب والعلم ، لم يبق له على نفسه كل السلطان ، بل اصبح من حق كل ذي رأي ان يتقاسم معه هذا السلطان . فما كاد يستقر به المقام في المعرفة حتى اخذ الناس ينتالون الى بيته من كل صوب ، والتف حوله عدد كبير من الطلاب . وما هي الا سنوات حتى استجالت عزاته الى ضدها ، لما كان يستقبل كل عام من وفود الادياب ، يقبلون اليه من حلب أولاً ، ثم من الشام ، ثم من جميع البلاد الاسلامية ، حتى رحل اليه ابن الخطيب التبريزي من تبريز ماشياً لانه لا يملك ثمن مطية يجتاز عليها ذلك الطريق الطويل ، وكان سبب رحيله اليه على ما روى القفطي انه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب من اللغة لابي منصور الازهري في عدة مجلدات ، واراد تحقيق ما فيها واخذها عن رجل عالم باللغة ، فدلّ على المعري ، فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى المعرفة ، فنغذ العرق من ظهره اليها فأثر فيها . . .

يزورني القوم هذا ارضه عين	من البلاد وهذا ارضه الطيش
قالوا سمعنا حديثاً عنك قلت لهم	لا يبعد الله الا معشراً لبسوا
يبغون مني معنى لست احسنه	فان صدقت عرتهم اوجههم عبس
اعاننا الله كل في معيشته	يلقى العناء فذري فوقنا دبس
ماذا تريدون ؟ لا مال تيسر لي	فيستاح ولا علم فيقتبس
اتسألون جهولاً ان يفيدكم	وتحلبون سفياً ضرعها يبس
ما يعجب الناس الا قولاً محتدع	كأن قوماً اذا ما شرفوا ايسوا
انا الشقي بأني لا اطيق لكم	معونة وصروف الدهر تحتبس

وهكذا اصبح بيته الصغير مدرسة خطيرة الشأن يؤمها طلاب العلم من اقاصي البلاد فيستمعون اليه ويأخذون عنه ، ويحلي عليهم ما وعته ذاكرته العجيبة من اوابد الشعر وشوارد اللغة ، وما ابدعه ذهنه الحصب من بارع الادب ورائع الحكم ، ثم ينتشرون في البلاد فيحدثون عنه وينشرون اخباره واشعاره . حتى انعدت له من كل ذلك شهرة لم تتوافر في عصره لغيره ، واتصلت الرسائل بينه وبين الامراء والعظماء .

## الشبيبة العاملة المسيحية في سنترها العشرين

من المشاهد الجميلة التي رأتها فرنسا هذه السنة ، مشهد تلك الشبيبة المتدفعة المتحمسة التي تريد ان تعطي مثلاً حسيّاً على حيويتها فتجتمع صفوفاً مترابطة في مدينة كلاشي حيث نشأت تلك الحركة المباركة التي نسميها الشبيبة العاملة المسيحية . وهذا الاجتماع الذي تم في ٢٥ و ٢٦ ايار وضم ٦٠٠ عامل وعاملة يمثلون مختلف الفرق ، قد عبّر عن حيوية متوثبة ، وصرّح امام الملا ان هذه الحركة التي قد بلغت العشرين عاماً هي لكل شاب وفتاة ، عامل التحرر والالفة والتضامن .

وكما ان الانسان يقف في سنته العشرين ويستعرض ما تقطع من حياته فيشعر احياناً انه لم يأتِ بعظيم الاعمال . ولكنه يشعر في صميم نفسه انه اصبح وليّ اعماله وانه ذا نفس مستعدة لتحقيق جليل الاعمال في مستقبل قريب زاهر ، وان ايمانه بهذا المستقبل راسخ متين . هكذا تراءت لنا الشبيبة العاملة المسيحية في هذه الايام التي خللت ذكرى مرور عشرين سنة على تأسيسها . وعلى الحقيقة ان هؤلاء الشبان المتدفعين في طريق الحياة يعرفون حق المعرفة انه لا يزال امامهم سبيل العمل واسعاً ، ولكنهم لا يجهلون تاريخ هذه العشرين سنة التي تخللها كثير من التفاني والتضحيات التي بلغت احياناً حد البطولة ، فكوّنت في صميم كل فرد ان قد تغيّر شيء في مجرى الحياة ، وانهم ما كانوا لينعموا بهذه الحماسة وبهذا الاندفاع لو لم يكن سبقتهم عاملون وعاملات ضحوا باجمل ساعاتهم في خدمة اخوانهم واخواتهم في العمل .

لقد استعادوا ذكريات حمة ورأوا خلال العشرين سنة ، هذا العدد العظيم من العمال الذين بفضل الحركة الجديدة ، نظروا الى الحياة نظرة خاصة ، فرجع الامل الى قلوبهم وبالامل الايمان . وهذا المثل الاعلى ما زال يغلي في صدورهم حتى اليوم ، وهو الذي وضع على شفاههم هذه الصرخة : اننا نحن الشبيبة التي تريد ،

وتجاهد وتتحرر ، انما تعمل في عالم اشرف على الموت والتلاشي .  
ولا يعجبني احد من المقاومات بل من الانتقادات المرة والمهاجمات العنيفة التي  
يواجهها الشباب العامل المسيحي لان هذه الحركة ليست كبقية النقابات التي زاولها  
تظهر اليوم لتموت غداً ، وانما هي حركة تعمل بواسطة مجاهديها ومجاهداتها في  
المجموع ، بل تعمل مع المجموع لتبعث في مظاهر نشاط المجموع كلها ، روح الانجيل  
اي روح المحبة .

الشبيبة العاملة المسيحية تهتم قبل تبشير المجموع برسالة المسيح ، ان تحيا هذه  
الرسالة في المجموع لانها تعلم حق العلم ان عليها قبل فتح الآذان لإسماع هذه  
الرسالة ، ان تفتح القلوب لتحبها .

هذا مثلها الاعلى ولاجله اجتمع ٦٠٠ ممثل في المؤتمر الدولي ليدرسوا على ضوء  
الانجيل والاختبار مشاكل الحياة التي تتخبط فيها الشبيبة العاملة في الساعة الحاضرة ،  
والطرق التي عليهم ان يسلكوها ليلغوا الى هدفهم الاممي .

وما ان حُتم المؤتمر ، حتى تقدمت لجنة العاملين من المراجع الحكومية الرسمية  
مطالبة تسوية مشكلة العمل قبل الخدمة العسكرية ، والتخصص المهني ، وتهيئة  
الاسرة ، وتوفير التسليحات . كما تقدمت لجنة العاملات مطالبة بالتحقيق المهني  
وتعديل شروط العمل وساعاته .

الشبيبة العاملة المسيحية اخيراً هي روحانية ، ولكنها روحانية مجسمة في  
الواقع ولذا فلها هدف ترمي اليه ، وهذا الهدف تجاهر به صباحاً ومساءً : « سنعيد  
الديانة المسيحية الى اخوتنا » . وفي سبيل هذا الهدف جاهدوا عشرين سنة . واذا  
لم يحققوا كل ما رموا اليه فلأنه يستحيل عليهم ان يزيوا في عشرين سنة ، ما  
ركبته اجيال مادية وتقهقر . وانما المستقبل للشبيبة ، وهذا المستقبل سيكون  
بعون الله طافحاً بالجهود والتضحيات ، طافحاً بالنتائج الحسنة ، التي تحقق اقصى  
اماني القلوب الفتية فتعيد الى العالم المتعذب المترجرج الهدوء والسلام باعادة ملك  
المسيح على القلوب .  
الاب فرنسوا ابر مغ المخلصي

## الرئيس العام الجديد

منذ ما رقي سيادة ايئنا العام السابق ، الجبر الجليل باسيلوس الحوري الكلي الوقار ، الكرسي الاسقفية لابرشية صيدا ودير القمر وما اليهما ، توجهت افكار ابناء الرهبانية الى شخص عرف بعايقه ومقدرته وفضيلته ليستلم زمام الرئاسة العامة . وما ان وجّه حضرة الاب النائب العام كتاب الدعوة الى عقد المجمع العام حتى اخذ الجميع يلهجون بذكر ذلك الشخص الجليل المحبوب لما خبروا فيه من الصفات البارزة العالية اللازمة لذلك المقام الخطير .

وتتوالى الى الايام بسرعتها ، ويأتي صباح يوم الجمعة ، الثامن عشر من شهر تموز الماضي . وعند الساعة التاسعة يلتئم اصحاب الاصوات في خورس كنيسة الدير الكهري ، وتلقى اوراق الاقتراع السري في صندوقة موضوعة امام رئيس المجمع من قبل الكرسي الرسولي ، لهذه المرة ، قدس الاباتي الجليل انسلم شيباس لاسال . ثم تفتح الاوراق فاذا هي تحمل بالاجمال اسم :

الاب الكهنوس بردييل

فيعلنه الرئيس المذكور باسم المجمع العام والرهبانية والكرسي الرسولي :

رئيساً عاماً على الرهبانية المخلصية

فيتقدم ويستلم منه ختم الرئاسة العامة ، وكتاب الفرائض . ويلبسه حضرة النائب العام شارات الرئاسة العامة ، ويندفع الجميع بتلحين طروبارية عيد الروح القدس : « مبارك انت ايها المسيح الهنا . . . » ، وتحتال الاجراس الاربعة برنينها الفخم ، ويدخل جمهور الرهبان الى الكنيسة ليقدموا خضوعهم لرئيسهم العام الجديد ، بينما يسلمه قدس رئيس المجمع عكاز الرئاسة ويسير به الى عرشها ، ثم يعانقه . ويتقدم اعضاء المجمع فرداً فرداً ، ويتبعهم باقي الجمهور فيلشمون يده ، وهو ينحني ويقبل كلاً منهم ، بينما الجوق يتزغم بنشيد المجدلة الكهري وطروبارية التجلي . . .

ويتزل سيادة الرئيس العام عن عرشه ، ويدخل الهيكل ويتلو الصلاة المعينة . ثم بعد ان يُودِعَ المخلص ، بثلاث كلمات قلبية ، حياته وعماله الجديد ، يتوجه الى الجمهور المتهلل بالبسم ، وبعد ان يقدم خضوعه واحترامه وشكره للكرسي الرسولي بواسطة ممثليه رئيس المجمع ومعاونيه حضرة الاب جوزف موريس ، يلقي على الجمهور كلمة حية حارة قلبية يعلن فيها استعدادها للخدمة بما عنده من قوى اديبية وجسدية يريقها سكبياً على مذبح المخلص لتمجيده وخير ابنائه . . .

وتدوي الاجراس مرة ثانية بقوة اشد واندفاع احمر . ويخرج الجميع الى القاعة الكبرى منشدين تسميحة الشكر للام البتول : « بواجب الاستحقاق . . . » وفي القاعة ، ينطلق سيادة الاب العام ، مندفعاً بمناطفة النيرة وحب التضحية ، فيلقي خطاباً نارياً ، تجسست فيه نبالة العاطفة وشهامة الاستعداد للعمل ، تستحث الهمم للمجاعة والتطوع .

وقام حضرة الاب المدير الاول فالقى كلمة جميلة افتتحها بقول الروح : « ملك الارض في يد الرب فهو يقيم عليها في الزمن الموافق من به نفعها » . فبعد ان استفاض بتبيان ان ذلك الانتخاب الموفق كان من عناية المخلص ، طلب لسيادته ما طلبه سليمان لقيادة شعبه ، اي الحكمة . ورجا ان تكون تلك الحكمة عاملة فيه بعاملها القويين : « انها تبلغ من غاية الى غاية بالقوة وتدبر الجميع بالرفق » .

ووقف بعده حضرة الارشمندريت باسيلوس تسيس المدير الثاني فافاض بالكلام عن عناية الله بالرهبانية التي احتفظت بسيادة الرئيس العام لخير وفائدة الرهبانية ، مع ان سعي ابناء الطائفة في جهات كثيرة كان حثيثاً للحصول عليه . . . واستتلى بتهنئة حارة وادعية قلبية وتغافل كبير ان توفقت الرهبانية في عهد رئيسها العام الجديد الى متابعة جهادها في عملها المقدس . . .

ونثر الكثيرون عواطف قلوبهم بما كان معرباً عن ابتهاج وتهلل وغبطة وتحقيق الاماني . وختم الجوق بنشيد الدعاء : «بوليخروتيون» وخارجنا وكل يهني . الآخريين . . . وما يجدر ذكره خصوصاً ، ان شيخ الرهبانية الجليل ، ومؤرخ الطائفة

المفضال ، حضرة الاب قسطنطين الباشا الذي اثقلته الاتعاب والايام ، وقف بباب غرفته ينتظر خروج الجمهور من القاعة . ولما رأى سيادة الاب العام تقدم اليه بجلال الشيخوخة المكرمة المهيبة ، وانحنى بمقدار ما امكنه ، واخذ يقبل يد سيادته بذلك الاحترام המתرج بدموع الفرح والسرور فعانقه سيادته بلهفة وحب وقبّل يده وطلب بركته وصلواته وادعيته له وللرهبانية . . .

وعندما حان اوان صلاة الساعات الصغيرة اجتمع جمهور الدير والمدرسة كليهما، وتلونوا الصلاة معاً ، وعقبها رتبة تجديد النذر امام الرئيس العام الجديد . وكان سيادته اول من جثا امام الهياكل المقدسة والانجيل الطاهر فجدد نذره . ثم تقدم جمهور الكهنة والثمامسة فجددوا هم ايضاً . وكذلك باقي الرهبان اصحاب النذور الاحتفالية والبسيطة ، والكل اندفاع وبهجة . . .

وقبيل العصر وفد سيادة راعي الابرشية السيد باسيليوس الحوري الكلي الوقار فهناً الرهبانية بالاب العام الجديد ، وبات ليلته عندنا . وكانت ليلة ساهرة انطلقت فيها الاسهم النارية تشق الجو . وشع فوق قبة الاجراس نور كهربائي بالف شمعة ، يثم عن هوائنا العائلي ، ويبشر الجوار بالحدث الجميل الذي كانوا ينتظرونه .

\*\*\*

وفي صباح اليوم التالي احتفلنا بالقداس الالهي بعض الاحتفال ، وقام سيادة مطران الابرشية بحفلة التنصيب الطقسية ، كما تنص الفرائض المقدسة . وقد اراد سيادة الاب العام ان يتخذ رتبة الارشمندريت بحسب نص الفرائض ، ولو كانت له رتبة الاكسرخوس البطريركي سابقاً .

وبعد القداس غادرنا سيادة المطران الى مقره لضرورة ذهابه الى دير القمر ليحتفل هنالك بعيد النبي الياس . ثم ذهب سيادة ابينا يرافقه حضرة الابوين المديرين الاول والثاني ليزور في حريصا نيافة السيد مارينا السفير البابوي . فابدى له نيافته من الاكرام والتجلة ما زاده قوة ونشاطاً لخدمته وعمله في الرهبانية .

\*\*\*

وكان الاحد في العشرين من تموز موعداً لتتويج سيادة الاب العام . فاجتمع جمهور المدرسة بجمهور الدير في كنيسة الكهري ، وقيم الاحتفال بالفرض والقداس على غاية كهري . وفي بدء القداس الالهي ألبس سيادته التاج الحبري فزاده مهابة وجلالاً . وكم كان الحفل مهيباً اذ مرَّ ثمانية عشر كاهناً وشماسان ، باجل بدلاتهم الكهنوتية، في الدورات الطقسية في القداس ، يخرقون صفوف الحاضرين الحاشعين ، والجوق تتعالى انغامه شجية مرناة ، وسحائب البخور منشرة تحت عقود الكنيسة كعقائم الهيكل السليمانى يوم تدشينه .

وفي المساء كانت حفلة موسيقية ادبية مُثِّل في خلالها رواية فضمة في موضوعها بليغة في لغتها : « فالمؤامرة على مازاران » من اروع الروايات الفرنسية ، قام بترجمتها نثراً شعرياً حضرة الاب الفاضل كيلس المعلم ب م . وقد اجاد تلامذتنا في تمثيلها اجادة هَلَل لها جمهور الحاضرين وقابارها بتصدية الاستحسان .

وقد انشدنا شاعر دير المخلص حضرة الاب نقولا ابي هنا ، في خلال الحفلة ، قصيدة عامرة في الرهبانية وابنائها تطرق منها الى وصف الاب العام الجديد بصفاته الغراء وشمائله العالية ما صنفق له الحضور مراراً .

وكان ختام هذه الحفلة كلمة لسيادة ابينا العام شكر فيها لجمهور الاصدقاء الحاضرين ، وخصَّ المدرسة المحبوبة التي تولى رئاستها في السنة المنصرمة ، ذاكراً بالخير والفضل ، اتعاب وعناية حضرات الآباء اساقذتها الذين كانوا يؤازرونه بالعمل والخدمة لانشئة الرهبانية، متمنياً لهم خير المكافأة، وللابناء التلامذة اطراد الفلاح .

\*\*\*

فاحر ادعيتنا لدى المخلص ان يتولى سيادة ابينا العام بأيده الغالب وان يؤتية النعمة لاتمام كل امانيه ورغباته لخير الرهبانية وابنائها لتظل متابعة رسالتها المحيطة التي اختطها لها مؤسسها السعيد الذكر . كما اننا نسأله تعالى ان يحفظ سيادته بالقوة والعافية الى سنين كثيرة .

## لمحة من حياة سيادته

ولد في ذحلة في ٢٥ ت ١ سنة ١٨٨٨ ، ولما بلغ الرابعة عشرة شعر من نفسه بدعوة المخلص ، فلماها ودخل الرهبانية في اوائل ت ١ سنة ١٩٠٢ . وفي ٢٩ ك سنة ١٩٠٥ نذر نذوره الرهبانية الاولى . وفي اوائل السنة المدرسية ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ارسل الى رومة لمتابعة دروسه العليا والفلسفية واللاهوتية فنال شهادة المئنة في كليتها وفي الحق القانوني مع الشئاء والمدبح . ثم سيم كاهناً في ١٥ آب سنة ١٩١٥ . وسنة ١٩١٩ عهد اليه المجمع المقدس بمهمة الى قطننا قام بها حق القيام . ولما عاد الى الدير درس الفلسفة في مدرستنا الرهبانية . وفي ايلول من سنة ١٩١٩ عين رئيساً للمدرسة الرهبانية، لكن لم تطل المدة حتى الجأت (الضرورة الى تعيينه قيماً عاماً ، ففضى في هذه الخدمة ست سنوات عاملاً بنشاط وغيره وحب . فنظم كثيراً من المسائل والمشاريع . وفي سنة ١٩٢٥ عين وكيلاً للرهبانية في بيروت فبقي ثلاث سنوات نقل في أثرها الى وكالة الرهبانية في حيفا . وفي هذه الفصول ، عين عضواً في لجنة التشريع الملكي ، التي انعقدت في دير الآباء الطليبيين في صرنا . ولما اتهمت اللجنة الى رومة ، وقع اختيار غبطة السيد البطريرك عليه فعينه رئيساً للمدرسة البطريركية في بيروت ، ولكنه لم يبق الا سنة واحدة ، ترك خلالها اثراً محموداً ، لا يزال يذكره تلامذة تلك السنة ، بكل اعجاب . ولما كانت الامور المادية في ابرشية مرجعيون تحتاج الى تدبير شديد اذ كانت ايدٍ غريبة قد استولت على جزء كبير من اوقاف الابرشية ، فانتدب ليكون نائباً عاماً للابرشية حتى يتدبر الامور بما عرف فيه من حنكة وخبرة ومقدرة . فقام بالعمل خير قيام بحيث استرد حقوقاً واملاكاً للابرشية كانت قد توالى عليها السنون . وفي سنة ١٩٣٤ كلفته الرهبانية ان يأم المدينة الابدية لان املاك الرهبانية هناك كانت عرضة للاستيلاء ، فابدى كثيراً من الحنكة للمحافظة على حقوق الرهبانية . وقضى في هذا نحو سنتين ، عاد بعدها الى ابرشية بانياس يتابع الاهتمام بالمحافظة على ما استخلص من الحقوق المهضومة . وبعد ذلك بمدة وجيزة عين وكيلاً عاماً للرهبانية لدى الكرسي الرسولي في رومة فسار الى مركزه الجديد في منتصف سنة ١٩٣٨ . ثم عهد اليه غبطة السيد البطريرك ان يكون في الوقت نفسه ممثلاً له لدى الخبر الاعظم والمجمع الشرقي المقدس مع رتبة اكسرخس بطريركي . وقضى هناك كل مدة الحرب العالمية وهو هو الرجل المدرب الساعي والعامل لكل خير بحيث اكتسب ثمة واعتبار السلطات العالية الدينية والمدنية . وفي سنة ١٩٤٥ استدعته الرهبانية لامور خطيرة دبرها بفضنته ومقدرته وعاد الى مركزه على امل ان يتدبر احواله هناك ويرجع الى الدير . وفي اواخر سنة ١٩٤٦ استدعته الرهبانية من جديد رسمياً ليتولى ادارة مدرستها الرهبانية فلبى الامر وعاد في اوائل هذه السنة ، وفي ٣١ كانون الثاني استلم مركزه وسار بتلامذته شوطاً واسعاً من التقدم ، الى ان كان اليوم الثامن عشر من تموز الماضي فسلمته الرهبانية بصوت مجمعها العام ادارة الرهبانية كلها ، معلقة على همته ودربيته وفضيلته ومحبته اطيب واجل الآمال .

## ﴿ مناقشة اولى وعقله تمثيله في الفرزل ﴾

الفرزل بلدة مسيحية في البقاع الشمالي تمد نحو الف وخمس مئة نفس . وكلاهم من طائفة الروم الكاثوليك . وفيها الان مدرسة كبيرة يديرها من ثلاث سنوات اربع راهبات مخلصيات ، من الرهبنة الجديدة التي اسست سنة ١٩٤٥ .

لقد حرمت هذه البلدة الجميلة في مدة حقبة طويلة ، وسائل الثقيف والعلم فنشأ ابناءها على حب البطش والمغامرات وعلى شيء من المنازعات . رغم ما امتازوا به من عسك بالدين ، وطيب القلب وبعد الهمة ، والسخاء وحسن الضيافة .

ولكن مجي الرهابت الى تلك البلدة، جعل فيها جوّاً اديباً جديداً ، وخلق روح التضامن . فقلّ التنافر ، وتقاربت القلوب ، وكادت الاحزاب ، ولاسيما هذه السنة ، تتلاشى بين ابناء البلدة ولنا كل الأمل ان لا يمضي زمن طويل حتى يكون ابناء الفرزل من خيرة ابناء البلاد تألقاً وعلماً واخلاقاً ، بفضل ما يبذل الراهبات من الجهود لتنشئة الاولاد شبان المستقبل ، على الحصول الحميدة والتربية العالية والاخلاق الرفيعة .

في آخر كل سنة يقطف هؤلاء الراهبات ثمار تعبهن وتضحياتهن العالية . ومن جملة نتائج تلك الجهود المباركة ما شاهدناه في تقرب ٢٥ فتي وفتاة من مناولتهم الاولى في ٦ تموز الماضي .



ما كان الطفه منظرأ مشهد هؤلاء الاحداث ، وقد زاحم الثوب الابيض الملائكي والاكابيل اللطيفة ، يتقدمون ضامين الاكف بابتهاال وخشوع ، من الابواب المقدسة، وقد خفرتهم على الجانبين ثلاث راهبات، على مرأى

من اهاليهم وسكان البلدة ، ويفتحون افواههم الصغيرة ليقبلوا لاول مرة من يد سيادة الحبر افيثيموس يواكيم ، يسوع حبيب نفوسهم . فلطالما سمعوا عنه من الراهبات (شيء الكثير، وحنث قلوبهم الى هذا اليوم البهيج . نم لقد شعرنا بوجوه الفرح تتفق في جوانب الكنيسة ، وتتغلغل الى صدورنا كأنا نفحة من هواء السماء ، وكأنا نسمع يسوع يقول بشوق وحب : « دعوا الصغار يأتون الي ولا تمنعوم » .

بمد القداس توجه سيادة الحبر الجليل باحتفال الى مائدة انيقة ، وهناك قُدمت الترويقة وانواع الحلوى للمتناولين الجدد ، وكانت أمارات الفرح بأدية على وجوه الجميع .  
وعند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم ، اقيمت حفلة جميلة على مسرح المدرسة موضوعها « فجر الفصح » تخللها مشاهد هزلية واغاني شعبية . رأس الحفلة سيادة راعي الابرشية ، وكان الى جانبه حضرة رئيس بلدية رياتي ، و قدس الارشمندرت نقولا برخش ب . م مؤسس فرع الراهبات الجديد ، و قدس الاب جانال رئيس المدرسة الصغرى للقديسة حنة في رياتي ، و جمعٌ غفير من الكهنة والاهالي . وقد لاقى التمثيل استحساناً ، وقدرت جهود الراهبات المبذولة حتى حصّان على مثل هذه النتيجة من اولاد يصعدون المسرح لأول مرة .  
وتكلم كثيرون مبرين عن شواعرهم ، مرحبين بالضيوف ، او شاكرين للراهبات وقبيل الختام ألقى حضرة الاب بطرس الحداد ب . م خطاباً بيّن ما للراهبات عموماً من مجيد الفعالم وطيب الاثر في الحقلين الديني والوطني ، وما لهنّ من الفضل الكبير واليد الطولى في رفع مستوى الامة الاخلاقي ورفقي حضارتها . وابان العلاقة القديمة التي تربط دير المخلص ببلدة الفوزل ، هذه الصداقة التي تكمل وتأخذ وجهاً جديداً في راهباتنا المرسلات هناك .



ونكلمت بعده  
حضرة كاهن نبيها .  
وهي قرية تبعه عن  
الفوزل ثلاثة ارباع  
الساعة كانت  
ازاهبات يقصدنها  
كل اسبوع لائقاء  
التعليم المسيحي ،  
فشكروا ما لهن من  
الفضل على تهذيب  
ابنائهم واعدادهم

لاول قربانته ، في كنيسة تلك البلدة . وكان مسك الختام كلمة الراعي الجليل ، فأبدى ارتياحه لكل ما سمع وشاهد ، من تمثيل وغناء ورقص ، ودعا للراهبات بالتوفيق ، شاكراً ما يبذلن من نصب في تنشئة هؤلاء الاحداث خاصة ، ولانهن المثل الصالح ونفحة السلام بين اهل البلدة عموماً .

( لمراسلنا )

العبارة المعجزة للبتول القديسة

Armand PLESSIS S. m. m.  
Docteur en théologie

MANUEL DE MARIOLOGIE DOGMATIQUE

( Allons à Jésus par Marie )

1<sup>ere</sup> éd. 10 000 ex. 1947

in — 12, 360 pages

Le même :

MARIOLOGIE MONTFORTAINE

Commentaire du Traité de la Vraie Dévotion

Les Traditions Françaises Editeurs.

in — 8°, 440 pages.

ان العالم الكاثوليكي يتجدد في تمبده للبتول القديسة فما مزار « لورد » وما قرينة « فاطمة »  
وما العلماء والأطباء والفنانون والكتبة يشتركون في العمل مساهمين في اعلاء مجد مريم ،  
متراحمين على اكرام البتول ، وما اقوال المذراء يرددها الغرب والشرق . وقد اتت كتب  
الأب « ارمان بلايس » تلاً فراعاً كان يزيد يوماً عن يوم مشددة الضعيف الايمان ومبعدة  
غياهب الريب المتراكمة . والأب « ارمان » معروف عند الكثيرين من ابناء الشرق ، فقد  
قضى ايام دراسته في المدينة الخالدة حيث كان نعم الصديق لمن عاصره في مدرسة القديس  
انثاسيوس للروم الكاثوليك او في مدرسة الموازنة من ابناء الشرق .

فكتابه الأول « مريم في علم اللاهوت النظري » ( Manuel de Mariologie  
Dogmatique ) هو اول ما يظهر في هذا المضار باللغة الفرنسية وكان قد وضعه باللغة  
اللاتينية سنة ١٩٤٣ . وهو يمتاز بوضوح مبناءه ، وابتكار تصحيحه ، وبلوغته ، وجمال  
طبعه . وهو اشبه بخلاصة لاهوتية مريمية غايه في الكمال والايضاح ، يؤدي ، بدون ادنى  
شك ، اكبر الخدم للاكاثوليكين والكنهنة والوعاظ ، ولا تغفل فائدته للعلمانيين انفسهم . فاسمى  
المسائل اللاهوتية التي تخص البتول القديسة مبسوبة باتزان ممتاز حتى قال فيه احد السادة :  
« انك تجد فيه كل ما ترغب في ان تعرفه عن المذراء مريم ، وكل ما يعلم اللاهوت عن  
امتيازاتها ، وعظمتها وقداستها . ففضاياه واضحة أكيدة ، وبراهينها مأخوذة من مبادئ علم  
اللاهوت الثابتة ، بحيث انك لا تملك النفس من التأثير البالغ لدى قراءتك اياه او تأملك فيه » .  
اجل ان كتاباً مثل هذا ليس قصة خالية ، ففيه بعض مقاطع تتطلب التفكير ، وفيه ما  
يفسح المجال لكل مفكر ان يبطل دعاوي المدعين وطم المنافقين . أو ليس من الحق ان يجب  
المؤمنون من غفوتهم ليستنبهوا ويدحضوا ما ينشر حواليتهم من الافكار المنلوطة والادعاءات

الكاذبة ، وليس شيء يعينهم على ذلك مثل هذا الكتاب فهو خير دليل لهم في هذه الظروف ، وهو من فئة الكتب العالمية التي لا بد للمثقف ايأ كان من قراءتها . ولذلك طبع منه لأول مرة عشرة آلاف نسخة .

\*\*\*

وكتابه الثاني هو شرح مقالة : « العبادة الحقيقية » مؤلفها خادم الله الطوباوي « دي مونتفور De Montfort » . وهو يوفق بين هلو نص المقالة وتطلبات العصر الحاضر . يبين في مقدمة غير قصيرة ، تاريخ العبادة للبتول مريم ، منذ بدء النصرانية الى الجيل الثامن عشر ، موضعاً بنوع خاص المكانة العليا التي احتلتها العذراء مريم في ارض فرنسا وخاصة في كتب الطوباوي « دي مونتفور » . ثم يتخطى الى درس مقالة « العبادة الحقيقية » متتبهاً في شرحها نص المقالة عنها ، متوقفاً حيث يجب التوقف ، مسهباً حيث يليق الاسهاب ، ومليخفاً حيث يمكن التلخيص . فلدى قراءة هذا الشرح ينمرك نوع من الفرح الداخلي لما تجد من التعليلات الراقية عن ملكة السماء .

وينقسم الكتاب الى جزئين : يتكلم المؤلف في الأول عن العبادة الحقيقية ، وفي الثاني عن العبادة الكاملة . فالعبادة الحقيقية لمريم هي ضرورية لان في ذلك ارادة الله . وهذه الضرورة تلزم من يريد الخلاص و باولى حجة الكهنة والرسل واعضاء العمل الكاثوليكي . وقوام هذه العبادة يرتكز على عقيدة التجسد الالهي : فصيورة مريم امأ للاقوم الثاني المتجسد جعلتها سلطنة المخلوقات ، ووسيلة النعمة العامة . وبذلك اصبحت اهلاً لآكرام وتعظيم المخلوقات طراً فوق القديسين والملائكة .

وليست العبادة الكاملة لمريم الا التطوع الكامل في جنديية المسيح عن يدها . وهذا التطوع قائم بتكريس الذات تكريساً تاماً لخدمتها وبالتالي لخدمة ابنها الالهي وبذلك يصبح المسيحي عبد المسيح حقيقة وعبد مريم فيتم فيه قول احد القديسين : « من كان للبتول عبداً فلا يدركه الهلاك ابدأ » .

فهل من ضرورة الى التحريض على اقتناء هذا الكتاب ؟ كم من المبالغ تصرف في قراءة مجلات قصصية وبعض الرار خلعية ، افلا يليق ان تخصص قيمة لاقتناء ما يمكنه ان يهدي العقل والقلب من المبادئ القوية والصالحة . . .

يطلب كلا الكتابين من مكتبة « دين المخلص - صيدا - لبنان »

تثن الكتاب الأول ٣٩٥ غرماً لبنانياً

وتثن الكتاب الثاني ( Commentaire ) ٢٧٥ غرماً لبنانياً .

## عزراء فاطمة

الاب اغوستينوس برباره البولسي

مطبعة القديس بولس حريصا ١٩٤٧

مأثرة لطيفة من مآثر الاباء البولسيين بل زرد ورد يجتمع الى غيره في تمجيد العذراء واعلان اسمها والتعبد لقلبها الطاهر .

يتناول الاب المؤلف خبر ظهورات العذراء لثلاثة اولاد في قرية فاطمة في البرتغال فيقسم كتابه الى ثلاثة اجزاء واضحة :

١ - قبل الرؤى : وفيه يكلمنا عن نشأة الفتيان الثلاثة وعن مقدمات الظهور .

٢ - الرؤى : وهو الجزء الام في الكتاب يتكلم عن ظهورات السيدة وهي ستة ، وما رافق ذلك من ضجيج الشعب المؤمن والمكذب ، وتدخّل السلطة الكنسية وتراحم الجاهير المحبة للعذراء في وادي كوفا دا ايريا ( Cave da Iria ) .

٣ - بعد الرؤى : وفي هذا الجزء ثلاثة اقسام اولها يتكلم عن سيرة الرؤاة الثلاثة وفسيتهم وخصوصاً تعطشهم الى الام الذي صار سميرهم في كل ايامهم ، ثم يأتي على مرض فرنسوا وهياسنت وتروحها الى ديار النعيم ، اما لوسيا فتدخل الدير متخفية تحت اسم الاخت : « ماريا داس دورس » وتبقى خمس عشرة سنة لا تبوح بكلمة عن انعامات السماء . وهي لا تزال الى الآن في ذلك الدير تحمد الله من كل قلبها . وطريقتها في القداسة هي طريقة القديسة تريزيا الطفل يسوع في « الحب الكامل بالاستسلام للحب في ادق المهام » .

وبعد هذا يكلمنا عن نشأة المزار وتدخّل السلطة المدنية بالمنع الزائرين ، وعن هياج الكاثوليك وتدخّل الاحبار والاساقفة في استقصاء الحوادث وتثبيتها الرسمي .

واخيراً يأتي المؤلف على عجائب نالها المؤمنون بواسطة السيدة العذراء .

وفي كل ذلك يقرن الاب المؤلف الوضوح كما رأيت من مختصر كتابه الخاطف ، الى البساطة في سياق الحوادث والسلاسة في تقديمها بقالب عربي جميل فاذا بنا نشعر ونلمس بالحياة تتفجر من بين سطوره .

وتمنينا لو امتدت هذه السلاسة الى كل اجزاء الكتاب اذن لثمت امينتنا وجرينا في قراءة الكتاب دون توقف او تبحر في فهم بعض الجمل القامضة . ولقد رأينا في غيرها قالباً فرنسياً جتاً قد يدلنا على تضلع المؤلف من اللغة الفرنسية التي قد تكون اثرت في قلبه العربي او على مجارة قريبة لبعض المصادر الفرنسية التي اقتبس منها الاب المحترم .

ومها يكن من هذه الفئات الصغيرة المرضية فان الجوهر باق يسطع بالنور ويجذب النفوس

ورآء ابطال الكتاب الثلاثة الى طريق التضحية والتكفير لكي تحف ضربات الله من العالم المسكين .

هذا ، وكل أمانا ان يكافأ الاب المحترم عن جهوده واتعابه باقبالٍ عظيم ، وتلهف متزايد الى قراءة هذا الكتاب الثمين فتم رغبته ورغبتنا ان نرى ابناء شرقنا العزيز يزدادون للام الالهية حباً وتبداً .

١٠ غ .

## في سبيل التفاهم بين الكنائس

POUR L'UNITÉ VISIBLE DES EGLISES CHRÉTIENNES  
SELON LES VOLONTÉS DE JÉSUS-CHRIST  
( Petit Manuel doctrinal de l'Unioniste )

Editions des Amis de L'Union; Section A — N° 2; 12 × 17; 150 pages

اتحاد الكنائس مشكلة عالمية ، مشتبكة ، متعقدة ، زادت الايام في تعقدها واشتباكها ؛ وهي مشكلة عائلية قامت ولا تزال قائمة على نقص في المحبة المتبادلة فتباعدت القلوب وتكاثرت الازهام وتضخم الفاصل بين شتى الكنائس حتى اصبحت الواحدة نسياً منسياً عند الاخرى وان كانت تجاورها بالزمان او بالمكان .

على ان نحية ، وما اقلها ا ، ما فتئت تنادي بلزوم التفاهم والاتفاف والاتحاد ؛ واخذ صوتها يعلو من نحو نصف قرن خاصة ، فراحت اصداؤها تتردد في الغرب والشرق ، في المجلات ، واليوميات ، في المحافل وفي المؤتمرات . وكم من قلب ، بمن يقدرون الوقائع قيمتها ، يتحرق لمرأى حالة الكنائس الحاضرة ، من تباعد وتنافر وشحناء ، ويود لو يراق سكبياً على مذبح التفاهم والاتحاد ! . . .

بين هذه الاصوات المترددة في سماء الشرق كان صوت جمعية قامت منذ نحو ريعين ، ودعيت جمعية محيي الاتحاد ، تحب فيها روح جديدة ، روح الاخاء والمحبة . ومن صرخات هذه الجمعية الكتاب المذكور اعلاه . فليس له غاية سوى ان يكون لك مهزاً للتفكير . فلا تفقش فيه عن الجمل الطنانة او المزخرفة ، بل استق منه روحاً جديدة تنعش فيك فيك الامل وتحنك على العمل باخلاص وقبرة .

وهو مؤلف من مقدمة وثلاثة اجزاء وملحق وخاتمة .

ففي الجزء الاول عرض للحالة الكنسية الحالية ، وتحليل للمشكلة الاتحادية ، وتجريد للارواح من كل المهام والازهام لكي تقف بجرأة امام رغبات المسيح فستقني منه الماء الحي .

وفي الجزء الثاني درس خاص لمعضلة الاتحاد بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الارثوذكسية  
فرسالة الاتحاد بين الكنيستين قائمة على تقارب نفسي بين الشرق والغرب غداؤه عشرة اجيال من  
حياة مشتركة بين كلا العالمين .

وتكثر في الجزء الثالث الشواهد على رغبة المسيح بان تكون كنيسته واحدة رغم الاجيال ،  
واحدة رغم نزعات العناصر ورغم الامكنة والمدنيات المتفاوتة التي تترجج بها . فكنيسة المسيح  
فوق اللغة وفوق المدنية وفوق التراث العقلي الذي يخلقه كل شعب بحسب هواه وسكناه  
وعوائده . . .

وهناك ادعية ومحريضات ومقاصد تحث محب الاتحاد على ان يعمل من فكرة اتحاد الكنائس  
غذاءه الروحي اليومي . والكتاب مزدان بالرسوم المقدسة مما يجعل قراءته او التأمل فيه مشفوعاً  
بشيء من الراحة العقلية واللذة النفسية .

فرغبتنا نوجهها من صميم القلب الى رب القلوب والارواح ليجعل روح التفاهم والاتحاد  
شاملاً للغرب وشاملاً للشرق ، راجين ان يحققه في حياتنا العملية نحن الكاثوليك قبل ان نطلبه  
من باقي اخواننا . فاول خطوة نحو الاتحاد هو مثلنا الصالح : « انظروا كم يحبون بعضهم » . . .  
فالى الاصدقاء ، والى كل من تصمم ان تكون كنيسة المسيح مكرمة ، محترمة ، قائمة  
برسالتها السموية ، الروحية ، خير قيام ، نوجه هذا الكتاب حاثين اياهم على ان يجعلوه موضوع  
تفكيرهم ، ناشرين ما فيه من افكار المسيح في حياتهم وفي علاقتهم مع اخوتهم جميعاً . فلا  
اتحاد الا بالمحبة العملية .

ل . م

### بيانه عن المطعم الشعبي والمستوصف المجاني

منذ ست سنين تأسس في دمشق ، مدينة الاربية والاعمال الخيرية ، مشروعان خطيران هما  
فرعان اجتماعيان لنادي انشبية الكاثوليكية . ( فالمطعم الشعبي ) « كان ولا يزال ضرورة  
اجتماعية لا يحصى عنها » ليدل على حياة الامة الواعية « التي تريد ان تظهر للعالم في قالب جدير  
بالحرية والتقدم والاستقلال » . اما ( المستوصف المجاني ) الذي تطوع للعمل فيه نخبة من « الاطباء  
الاكفاء ومن ذوي الاختصاص العالي والخبرة الطويلة . . . يؤازرهم في مهنتهم الشاقة العنيفة فئة  
من خيرة المرضات » فهو مفتوح الابواب « يستقبل المرضى من كل فئة وكل مذهب بلا  
تمييز » . وكلا المشروعين يستدعي الاعجاب والاكبار لعصري . ولا سيما وقد تأسسا في ايام  
شديدة عصيبة لا يزال العالم يتخبط في غمرة ضيقها الذي أخذ يخنق الجميع ، فكيف بالمسكين  
الفقير المدم ؟

طالبنا البيان عن هذين المشروعين فاذا هنالك لوائح للواردات النقدية والعينية ، ولوائح ، بالطبع ، للمصرف هي بذاتها كبيرة ومجيدة لكننا نرجو ان تكون اكبر واجل ، ليزداد المتفعون من المشروعين فيكثر الاجر والمجد للفاخين بها وللمشركين والمتبرعين ولكل من له علاقة بها من سيدات وسادة .

ي . ب

## الدكتور توفيق ابراهيم رزق

كومنذور القديس غريغوريوس

علمنا بفخر ، وقرأنا في الجرائد بسرور ، ان قداسة الجهر الاعظم تنازل بمطغه السامي فمنح نوط القديس غريغوريوس ، من رتبة كومندور ، للعصامي الكبير ، واللبناني الحر ، والكاثوليكي الصميم ، الدكتور توفيق ابراهيم رزق ، جزاء افضاله العميمة ، وخدماته ومبراته الكثيرة في سبيل الخير والاحسان .

فلا يسعنا ازاء هذا العطف السامي والشرف الوسيم لصديقنا الكريم الدكتور رزق الا ان نقبض له ، ونهنئه الهناء كله ، داعين ان يظل التوفيق حليفه ، والنجاح في مساعيه ، ايزداد فضله ومحامده سطوعاً ، مفخرة للبنان ولكل كاثوليكي محب ا

( الادارة )

## انحجاب « الرسالة »

تنحجب « الرسالة » في شهري ايلول وتشرين الاول ، للعطلة السنوية ، على ان تبادل قراءها الاماجد هدية طريفة يتناول موضوعها ناحية جميلة . فالى اللقاء في تشرين الثاني ان شاء الله .

الرجاء من المشتركين الكرام ان يرجعوا في ما يخص الاشتراكات الى وكلائنا  
المعينين وهذه أسماءهم :

حلب : الاب باسيلوس حجار	صيدا : الاب اثناسيوس مشتف
مطرانية الروم الكاثوليك	صور : السيد انيس القبطي
زحلة : الاب نقولا الحداد ب.م	جديدة مرجعيون : السيد عقل ظاهر
انطوش مار الياس المخلصية	مطرانية الروم الكاثوليك
البقاع الجنوبي : السيد الياس غطاس	عكا وحيفا وتوابهها : السيد نقولا عصفور
مشغرة ( البقاع الجنوبي )	حيفا ، ادارة العرق والبريد
الاسكندرية : الاب بولس الشاعر ب.م	القدس : الاب جبرائيل ابو سعدي
بطريركية الروم الكاثوليك	بطريركية الروم الكاثوليك ص.ب ١٧٠١
القاهرة : الاب نقولا ابراهيم ب.م	دمشق : الاب بطرس الحداد ب.م
شبرا ، كنيسة الروم الكاثوليك	حارة الزيتون ، انطوش المخلصيين
الولايات المتحدة :	شرقي الاردن :
الارثمنندريت بطرس ابو زيد ب.م	الارثمنندريت نعمة الله الغريب ب.م
298, Oak St. Lawrence Mass .	عمان ، مطرانية الروم الكاثوليك
U. S. A.	بيروت : الاب اثناسيوس نصورة ب.م
المكسيك : الاب فيلهون شامي ب.م	المدرسة البطريركية
Ap. 1900-1900 Mexico D. F.	

برل الاشتراك لسنة ١٩٤٧

٦٠ غ . ل . س .

٢٠ ثلثاً

٧ دولارات

في لبنان وسوريا

في مصر وفلسطين والمراق

في البلاد الاميركية

# AR-RICALAT

## AL-MOUKHALLISSAT

Revue Mensuelle

publiée sous la direction des PP. Salvatoriens

### SOMMAIRE

	Page
<i>Crise de principes</i> . . . . . P. Lucien Malcaf	433
<i>Vie gâchée ! ( Poésie )</i> . . . . . J. S.	438
<i>La femme dans la perspective du Créateur</i> . . G. Brayer	439
<i>La Russie entre 1911 et 1918</i> . . . . . M. H. Souyoafi	449
<i>Luther</i> . . . . . P. Joseph Dagber	456
<i>La forme de « fou'al »</i> . . . . . M. Joubran Nahhas	469
<i>Abou-l-'Ala à Bagdad</i> . . . . . M. Gadri Cal 'aji	473
<i>J. O. C.</i> . . . . . S. M.	482
<i>Nouveau Supérieur Général B. S.</i> . . . . .	484
<i>Première Communion à Fourzol</i> . . . . .	498
<i>Bibliographie : P. Armand Plessis; P. A. Barbara</i>	

### ABONNEMENT

Liban & Syrie	600 P. L. S.
Egypte - Palestine - Irak	20 Shil.
Amérique	7 Dol.

IMPRIMERIE ST. SAUVENUR  
BAJDA ( LIBAN )